سمو المَلَكية والفكر الجريجوري في الغرب الأوربي في القرن الثاني عشر الميلادي بين الواقع والمأمول: هيو الفلوري نموذجاً.

The Royal Supremacy and The Gregorian Thought in the Twelfth Century A D between Reality and Expectation: Hugh of Fleury as a Model

د/ خالد عبد البديع رضوان محمود
أستاذ مساعد بكلية الآداب – جامعة سوهاج

تمهيد:

شغلت قضية أسبقية السيادة بين الملكية والكهنوت الفكر الأوربي منذ بواكير العصور الوسطى، وقد تزايدت الآراء حولها زخمًا وتباينًا بقدر ما اجتهد رجال الدين في تفسير نصوص الكتاب المقدس، وفي تأويل أقوال آباء الكنيسة وعظمائِها الأوائل. كما تداخلت هذه القضية مع نظرية السيفين واختصاصهما تداخلًا شديدًا(١)، في زمن شهد تمزّق الغرب الأوربي بين الممالك

(١) طرح البابا جيلازيوس (٤٩٢– ٤٩٦م) نظرية السيفين في رسالة بعث بها إلى الإمبراطور أناستاسيوس الأول (٤٩١– ٥١٨م). ومفادها أن الله له ملك الدنيا والدين، وبيده سيفان مسلولان، سلّط أحدهما على الأرواح، ومنحه للبابا ممثل السلطة الدينية *Sacerdotium*، والثاني سلّطه على الأبدان، ومنحه للإمبراطور ممثل السلطة الزمنية *Regnum*. وبما أن الإمبراطور هو عضو في الكنيسة فيجب أن يخضع بتواضع للبابا. راجع: Gelasius, *Epistolae et Decreta*, P L, ed. Migne, vol. 59, Ep. 8, col. 42؛ أيضًا: الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة: جوزيف نسيم، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٥٤؛ عبد الحميد، رأفت، الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٣٣. والحقيقة أن هذه النظرية وما اثير حولها من تفسيرات ومناقشات قد تركت أثرها الواضح على المفكرين الكنسيين والعلمانيين على امتداد الصراع بينهما في غرب أوربا العصور الوسطى. ويجب هنا توضيح أن البابا جيلازيوس كان من أوائل الداعين إلى إعلاء سُلطة الكنيسة على نظيرتها الملكية، وتبعه في ذلك البابا جريجوري الكبير (٥٩٠– ٦٠٤م)، على أنّهما أكّدا في المقام الأول على الفصل بين السلطتين الكنسية والملكية. انظر: كانتور، نورمان، التاريخ الوسيط، ترجمة: قاسم عبده قاسم، القاهرة، ١٩٩٧، ١/

الجرمانية، وسعي كنيسة روما إلى شغل الفراغ الذي خلّفه شغور المنصب الإمبراطوري في الغرب، فجعلت من نفسها سيدة على الملوك الجرمان(١).

ثم تغير هذا الحال مع مجيء شارلمان الذي فرض على طريقة الحكم رؤية دينية، وجمع في شخصه بين الملك والكاهن *Rex et Sacerdos*(٢)، وحين تُوج إمبراطورًا غربيًا؛ اعتبر ذلك ترتيبًا إلهيًا من عند الله مباشرة *A deo coronatus*(٣). على أن ما يُعاب عليه أنّه لم يفصل بين السلطتين: الدينية والزمنية، بل جمعهما في شخصه Caesaropapism، ولذلك كان صراع السنوات اللاحقة رهنًا بقوة ونفوذ كل منهما، الملك أو الكنيسة(٤).

١٣٦؛ لوكلير، جوزيف، تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، ترجمة: جورج سليمان، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٠٢. وللمزيد: Zukowski, Jean, *The Role and Status of the Catholic Church in the Church- State Relationship Within the Roman Empire from A.D. 306 to 814*, PHD diss., Andrews University, 2009, pp. 128- 129 ff; Marek, Rafał, Caesaropapism and the Reality of the 4th–5th Century Roman Empire, *Krakowskie Studia z Historii Państwa i Prawa* (2017), pp. 1- 27 esp. 13- 14.

(١) انظر: عبيد، إسحاق، روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قنسطنطين ٨٦٩- ١٢٠٤م، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠، ص ٤؛ عبد الحميد، الفكر السياسي الأوربي، ص ٢١- ٢٣.

(٢) Voir: Karoli Magni capitularia: Admonitio generalis (23 Mars 879 A D), dans: *Capitularia regum francorum*, tome 1, *MGH*, Hannover, 1883, pp. 52- 62. Aussi voir: Tessier, Georges, *Charlemagne*, Paris, 1967, pp. 292- 309.

(٣) See: Floz, Robert, *The Coronation of Charlemagne 25 December 800 AD*, trans. J. Anderson, London: Routledge & Kegan Paul, 1974, pp. 119- 126; Emerick, Judson, "Charlemagne: A New Constantine", pp. 133- 161, in *The Life and Legacy of Constantine: Traditions through the Ages*, ed. M. Bjornlie, London & New York: Routledge, 2017, pp. 151- 153.

في رسالة رفعها ألكوين Alcuin إلى شارلمان (مايو ٧٩٩م) جعله كملك في مرتبة أسمى من الإمبراطور البيزنطي ومن البابا، قال: "**إن المنصب الملكي الذي خصّك به الرب لكي تحكم الشعب المسيحي يعلو على البابا والإمبراطور الشرقي ويتخطاهما ويفوقهما حكمة. الآن عليك وحدك ترتكز كنائس المسيح، وتنتظر الخلاص على يديك، أيها المُقتص من فاعلي الجرائم، يا مُنقذ المُضلين، ومُعزّي الحزانى، وسند الصالحين**":
Alcuin of York: His Life and Letters, ed. S. Allott, York, 1974, no. 103. Also: Floz, *The Coronation of Charlemagne*, pp. 125- 126; Emerick, Charlemagne: A New Constantine, pp. 150- 151؛ وللمزيد: صبره، عفاف، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٢، ص ٦٣- ٦٤.

(٤) يُعدُّ الجمع بين الحكم والكهنوت في شخص الإمبراطور موروث قديم، حافظ عليه الإمبراطور قنسطنطين ومن جاء بعده من الأباطرة الشرقيين. وحين وقعت الجفوة الدينية بين روما وبيزنطة في القرن الثامن، وتبعها الانشقاق السياسي بتتويج شارلمان إمبراطورًا غربيًا، حافظ الأخير على الموروث ذاته. راجع: عبيد، روما وبيزنطة، ص ٢- ٦؛ عبد الحميد، الفكر السياسي، ص ١٥ وما يليها؛ هُلستر، شارلز، أوربا في

وقد مثّل إحياء الإمبراطورية الرومانية المقدّسة على أيدي الألمان فرصة مناسبة لبسط الهيمنة الملكية على الكنيسة، فأقبل الأباطرة السكسونيون (٩٦٢- ١٠٢٤م) والأباطرة الفرانكونيون الأوائل (١٠٢٤- ١٠٥٦م) يُعينون ويعزلون البابوات كيف شاءوا، وتسنّموا ذروة السيادة في الغرب الأوربي، زمنيًا وروحيًا[١]. ويعكس هيبة السلطة الملكية حينذاك ما جاء على لسان الأسقف ويبو البرجندي Wipo of Burgundy حين شهد تتويج كونراد الثاني ملكًا (١٠٢٤- ١٠٣٩م)، فعهد إليه بصفات الطهارة والقدسية، وجعل منه قمة هرم السُلطة في المجتمع المسيحي، مُشجعًا القساوسة على تقديم صلوات الشكر للرب لاختياره ملكًا. واندفع يُعلن لحظة تتويج كونراد: "**إن قسمنا لك ومعك ولأجلك أيها السيد الملك. إن الرب الذي اختارك لتكون ملكًا على شعبه، فوّضك أن تحكم فوق كل شيء...إن التقوى الإلهية ترعاك وتحوطك، ومن خلالها تتولى الإمبراطورية المسيحية، بما أنك بلغت أسمى درجات الكرامة، أنت نائب المسيح...يا من تحكم بالعدل، يا من تنشر السلام في ربوع الوطن، إنك أنت المُدافع عن الكنائس ورجال الدين، وأنت حارس الأرامل والأيتام**"[٢].

العصور الوسطى، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٤٥، ١٢١- ١٢٢؛ لوكلير، تاريخ التسامح، ص ١٠٢- ١٠٣. أيضًا: Marek, Caesaropapism and the Reality, pp. 1- 27

(١) Tellenbach, Gerd, *The Church in Western Europe from the Tenth to the Early Twelfth Century*, trans. T. Reuter, Cambridge, 1993, pp. 136- 147;

وللمزيد من التفاصيل: عبد الحميد، تاريخ الفكر السياسي، ص ٢٧- ٢٨.

(٢) Wipo, Deeds of Conrad II, in *Imperial Lives and Letters of the Eleventh Century*, trans. T. Mommsen & K. Morrison, New York: Columbia University Press, 2000, p. 67. نستخلص معلوماتنا عن ويبو من كتابه نفسه. يُرجَّح انتمائه إلى برجنديا بسبب إشارته لها بالمديح في أكثر من موضع. لحق ببلاط كونراد في مينز Mainz، فلازم مجلسه، وصاحبه في جولاته الملكية وفي جُل حملاته العسكرية، وربّما أصبح مستشارًا له. وظل على مكانته في البلاط الملكي إبّان عهد هنري الثالث (١٠٣٩- ١٠٥٦م)، وربما كان أحد الأوصياء عليه. وقد حضر تتويج هذا الأخير إمبراطورا عام ١٠٤٦م، والراجح أنّه توفي عقب هذا التاريخ حيث لم يظهر له خبرٌ بعده. يتضح من كتابه أنّه كان أسقف بلاط، سياسيًا ورجل دولة، وأديبًا شاعرًا واسع الاطلاع. ألمَّ بأعمال الشعراء الكلاسيكيين، كما أنّه درس الكتاب المقدس وأعمال آباء الكنيسة. ويُؤخذ على سيرته لـ كونراد أنه غلب عليها الأسلوب الأدبي، كما بالغ في مديحه للملك. فضلًا عن ذلك خلط بعض سيرة كونراد بأخبار ولده هنري الثالث. ويبدو أنه كان سيخصص جزءًا ثانيًا من كتابه لـ هنري، ولذلك عاد على بعض فقراته بالتنقيح. وكان يُغير من أسلوبه وصياغته حسب الحالة السياسية للحاكم، مما يؤكد كونه كاتب بلاط بالمقام الأول. انظر: Ibid, intro., pp. 42- 44.

على أنّ تصاعد وتيرة الإصلاح الديني في القرن الحادي عشر الميلادي شجّع الكنيسة على مواجهة الإمبراطور الألماني ومختلف السلطات العلمانية(١)، فجاء مرسوم البابا نيقولاس الثاني في إبريل ١٠٥٩م القاضي بعدم تدخل الإمبراطور في انتخاب البابا، وعدم تتويج الإمبراطور إلا بمباركة البابا(٢). وهذا مهّدَ للجريجوريين – جريجوري السابع (١٠٧٣– ١٠٨٥م) ومؤيديه من البابوات اللاحقين– أن يعتلوا سدة البابوية(٣)، وأن يُشعلوا الصراع بين الكنيسة والملكية على أسبقية السيادة، وأن يقتحموه في وجه رجال الدين المحافظين الذين خدموا بوصفهم مستشارين ملكيين في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا(٤).

وقد أعرض هؤلاء البابوات عن الدولة بتشريحها المعروف: وهو أن تكون ذات حق طبيعي وقانون طبيعي، وزينوا لمجيء دولة مُستوعبة في إطار ديني، فجعلوها داخل الكنيسة، بدلًا من أن تكون فوقها(٥). وكان توجههم في ذلك حدسيًا أكثر منه منطقيًا، وكان دينيًا أكثر منه حقوقيًا، فحوّلت آراؤهم البابا شيئًا فشيئًا إلى ملك، وجنوا ثمرة الإصلاح الجريجوري في إعلاء شأن الكنيسة وترسيخ السمو البابوي(٦). على أن صراع هؤلاء مع الملكيين أثرى في الوقت نفسه دراسة القانون بداية من القرن الحادي عشر الميلادي، خاصة في مدينتي بولونا ورافنا بشمال إيطاليا،

---

(١) Tellenbach, Gerd, *The Church in Western Europe*, pp. 141- 157, 172- 184; Leyser, Karl, *Communication and Power in Medieval Europe*, London & Rio Grande: The Hambledon Press, 1994, pp. 1- 3 ff.

(٢) *Documents of The Christian Church*, Select. & ed. H. Bettenson, 2nd ed., London, Oxford, & New York: Oxford University Press, 1963, pp. 101-102; Baumgartner, Fredric, *Behind Locked Doors: A History of Papal Elections*, New York: Palgrave Macmillan, 2003, pp. 21- 22.

(٣) ظلّت أفكار جريجوري السابع تُعمل عملها في البابوات اللاحقين، كما تجلّت نزعته الراديكالية في بابوية باسكال الثاني (١٠٩٩– ١١١٨م). والحقيقة أن بذور الإصلاح الجريجوري قد أثمرت في جنبات أوربا المسيحية حتى القرن الثالث عشر الميلادي. راجع: كانتور، التاريخ الوسيط، ٢/ ٣٤٧– ٣٨٥.

(٤) نفسه، ٢/ ٣٧١– ٣٧٢. Tellenbach, *The Church in Western Europe*, 185 ff

(٥) استمّد الجريجوريون هذه الفكرة من عبارة ساقها أمبروز الميلاني إلى الإمبراطور فالنتنيان الثاني: "أن الإمبراطور داخل الكنيسة وليس فوقها". انظر: عبد الحميد، الفكر السياسي الأوربي، ص ١٢، ٤٢– ٤٣.

(٦) توشار، جان، تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، ترجمة: ناجي الدراوشة، دمشق: دار التكوين والترجمة والنشر، ٢٠١٠، ١/ ١٩٧– ١٩٨. وللمزيد: الحجي، حياة، النظم الدينية في أوربا العصور الوسطى، *المجلة العربية للعلوم الإنسانية* ١٤: ٥٣ (الكويت ١٩٩٨)، ص ٢٨٠– ٢٨١.

ومدن جنوبي فرنسا وألمانيا، وبرز الاهتمام هنالك على الأخص بدراسة القانون الروماني(١). وعليه جاءت الكتابة السياسية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين جدلية، وتأرجحت حول النزاع الكنسي العلماني بين التأثيرين القانوني واللاهوتي(٢).

وكان من نتيجة ذلك أن تعالت أصواتٌ تُنظّر لسمو الملكية، فظهر من يدعو إلى علو منزلة الملك فوق مجتمع مسيحي منسجم مع كنيسة منظمة(٣). وكان "هيو" راهب دير فلوري Hugh of Fleury أحد الذين تصدّوا للفكر الجريجوري، وساق ردًا عليه نظريته عن السمو الملكي التي كان لها تأثيرٌ واضح على المفكرين من الجانبين: الكنسي والعلماني طوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

إشكاليات الدراسة:

يحاول الباحث من خلال هذه الدراسة معالجة الإشكاليات التالية:

١. كيف كانت شخصية "هيو" الفلوري بين واقعه الوظيفي ومُحيطه العلماني؟
٢. كيف تأثر بسابقيه من منظري السلطتين الكنسية والملكية؟
٣. ما هو واقع السمو الملكي ودلالته في كتابات "هيو" الفلوري؟
٤. كيف تصدّى الجريجوريون لنظرية "هيو" عن السمو الملكي؟

شخصية "هيو" الفلوري وكتاباته:

لم يُعرف عن "هيو" سوى اسمه، الذي ارتبط بمؤلفاته. ويقترح بيير بودوان Bauduin أن موطنه الأصلي كان نورماندیا، بل وحدّد مقاطعة كوتنتان Cotentin النورماندية موطنًا لجذور عائلته. والحقيقة أن بودوان لم يُبرهن اقتراحه، وربّما شجّع على ظنّه كثرة مديح "هيو" للحكام النورمانديين(٤). في الوقت الذي تُشير ماجوري شبنال Chibnall إلى أن "هيو" اتّخذ من الحكام

---

(١) راجع: باراكلاف، جيوفري، الإمبراطورية في العصور الوسطى: فكرة وحقيقة، ضمن كتاب: الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى، ص ٢١٨- ٢٢١.

(٢) سباين، جورج، تطور الفكر السياسي، ترجمة: حسن جلال العروسي، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١٠، ص ١٣١. وللمزيد: البيطار، نديم، الأيديولوجية الانقلابية، بيروت، ١٩٦٤، ص ٥٨٥- ٥٨٦.

(٣) للتفاصيل انظر: الغمراوي، علي، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربي الوسيط، القاهرة، ص ٣٣٤- ٣٣٦.

(٤) Bauduin, Pierre, "Hugues de Fleury et l`histoire normande", in *Normandy and its Neighbours, 900-1250. Essays for David Bates*, ed. D. Crouch et K. Thompson, Turnhout: Brepols, 2011, pp. 159, 161 n. 19.

النورمانديين سادة له[١]. وهذه الإشارة بدورها غامضة، ولا دلالة لها. وقد اكتفى إيف ساسييه Sassier من هذا الأمر بالقول: "إن "هيو" وإن كان راهبًا مجهول الأصل، غير أنّه كان بلا شك موهوبًا جدًا في الكتابة، ثريًا في التأليف، قد وضع موهبته في خدمة دير فلوري[٢]. وبالتالي تظل قضية أصل "هيو" غامضة، فلا نعرف عنه سوى نسبته إلى دير فلوري كما يظهر من عناوين مؤلفاته.

وأمّا وفاة "هيو" فنجهلها بالمثل، وقد اجتهد المحدثون في تتبع مؤلفاته ودراستها للخروج برأي ترجيحي حول تاريخ وفاته، وكان مسعاهم الوقوف على آخر سنة انتهى إليها في كتاباته. وقد عانوا في ذلك؛ نظرًا لتعدد مؤلفات "هيو" وإعادة نسخها لاحقًا في إصدارات مختلفة، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى تدخّل الناسخون في بعض هذه المؤلفات، وتعاهدوها بالتعديل والزيادة، مما جعل الباحثين لا يقفون على تاريخ واضح لنهايتها. فأعلن جورج فيتز Waitz وإرنست زاكور Sackur أن كتاب معجزات القديس بندكت *Miracula sancti Benedicti* الذي صنع "هيو" تتمة له، هو آخر كتبه، وبالتالي فإن وفاته تجيء بعده. ولكنهما اختلفا على تحديد سنة تأليف هذا الكتاب؛ فجعلاها بين ١١١٧م و١١١٩م، وما كان ذلك إلى لاعتمادهما على منسوختين مختلفتين[٣]. ورفض كل من ماجيوري شبنال Chibnall وألكسندر فيدييه Vidier ونيقو ليتنك Lettinck وبيير بودوان Bauduin كلا التاريخين، مرجحين أن كتاب تاريخ الفرنجة الحديث *Liber qui modernorum regum Francorum* هو آخر مؤلفات "هيو"، ولكنّهم اختلفوا بدورهم في تحديد سنة تأليف هذا الكتاب، وجعلوها بين عامي ١١١٤م و١١١٥م[٤]. وعلى ذلك يُمكن القول إن "هيو" تُوفي في فترة تقع بين سنتي (١١١٥– ١١٢٠م).

---

(١) Chibnall, Marjorie, *The Empress Matilda: Queen Consort, Queen Mother and Lady of the English, Oxford: Blackwell, 1991*, p. 46.

(٢) Sassier, Yves, "Les premiers chapitres du "De regia potestate et sacerdotali dignitate d` Hugues de Fleury (1102- 1107), ou l` art de s`appropier un vieux discours théologico- politique", *International Conference Proceedings*, series no. 12, (Japan: Nagoya University, 2012,), p. 123.

(٣) Hugonis, *Opera Historica*, ed. Waitz, MGH SS, 9, intro. p. 341; Idem, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, ed. Sackur, *MGH SS*. 2, intro. p. 465.

(٤) اتّخذ هؤلاء من مخاطبة "هيو" لـ ماتيلدا – التي جاءت في مقدمة الكتاب– سبيلًا لترجيحاتهم، حيث خاطبها بلقب إمبراطورة. ومن حيث حملت ماتيلدا اللقب رسميًا بعد اقترانها بهنري الخامس في يناير عام ١١١٤م. راجع: Chibnall, *The Empress Matilda*, pp. 25– 26. ذهب ألكسندر فيدييه إلى أن تأليف الكتاب

ويتّضح من رسائل "هيو" أنّه كان كاتبًا مشهورًا ذائع الصيت، فقد كان في مراسلة دائمة مع إيفو أسقف شارتر Ivo of Chartres أحد أبرز الكنسيين القانونيين في عصره(١)، ولا يُستبعد أن صداقة جمعتهما، حيث أرسل إليه بإثنين من مؤلفاته لمراجعتهما(٢). كما أن مُخاطباته

جاء بعد عام ١١١٤م. انظر: Vidier, Alexandre, *L'historiographie à Saint-Benoît-sur-Loire et les miracles de saint Benoît*, Paris: Picard, 1965, p. 80 في حين أنّ ماجوري شبنال – من خلال تحليلها لدعاء هيو أن يُبارك الله زواج ماتيلدا ويهبها الأطفال– اعتقدت أنّ الأخيرة كانت صغيرة للغاية، وأنّ الكتاب أُهدي لها أثناء فترة خطبتها لهنري الخامس، أي قبل عام ١١١٤م. انظر: Chibnall, *The Empress Matilda*, p. 46 وقد رفض كل من نيقو ليتنك وبيير بودوان طرح شبنال، وقبلا بالعام ١١١٥م تاريخًا لتأليف هيو كتابه، وإهدائه لـ ماتيلدا. راجع:

Lettinck, Nico, "Pour une édition critique de l'Historia Ecclesiastica de Hugues de Fleury", *Revue Bénédictine* 91: 3-4 (1981), pp. 386- 397 esp. 391- 392; Bauduin, "Hugues de Fleury et l`histoire normande, p. 162 n. 22.

(١) وُلد إيفو حوالي ١٠٤٠م لعائلة متواضعة في بلدة قرب شارتر جنوبي غرب باريس. مراحله التعليمية غير معروفة على وجه الدقة، فهناك من يقول أنّه تتلمذ على لانفرانك في دير Le Bec بنورمانديا. والبعض يزعم أنّه درس في باريس. لكن الواضح أنّه تلقى تعليمًا كنسيًا جيدًا، فضلًا عن تعمقه في دراسة القانون. في عام ١٠٧٨م ترسم رئيسًا على دير القديس كنتان St Quentin في بوفيه Beauvais بشمال فرنسا. تولى أسقفية شارتر عام ١٠٩٠م، أحد أهم المقاعد الكنسية في فرنسا الكابّية، وبقي فيها إلى وفاته عام ١١١٥م. أفاد من دراسته القانونية في طرح تقارب توافقي بين القانون المدني والكنسي، محاولًا تقديم حلول للخلاف الكنسي العلماني حول المناصب الكنسية، مما أدخله في مشاحنات مع رئيس أساقفة سانس، والملك فيليب الأول والمندوب البابوي هيو رئيس أساقفة ليون. وسرعان ما ذاع صيته خارج نطاق أبرشيته، وقد نظر إليه العديد من الأساقفة في شمال أوربا باعتباره قامة أخلاقية وفكرية. وكانت مؤلفاته معروفة على نطاقٍ واسع، وأهمها: المُقدّمة *Prologus*، والمجموعات القانونية الثلاث: بانورميا *Panormia*، والمراسيم *Decretum*، والثلاثية *Tripartita* ***التي*** جمع فيها القوانين الرومانية والكنسية. فضلًا عن ذلك له ثلاثمائة خطاب تعكس فكره وتوجهاته الدينية والسياسية. راجع:

Fournier, Paul, *Les collections canoniques attribuées à Yves de Chartres*, Paris, 1897, intro.; Brasington, Bruce, *The Prologue to the "Decretum" and "Panormia" of Ivo of Chartres. An Eleventh Century Treatise on Ecclesiastical Jurisprudence*, PHD diss., University of California, 1990, intro; Rolker, Christof, Ivo of Chartres' Pastoral Canon Law, *Bulletin of Medieval Canon Law* 25 (2006), pp. 114–145; Idem, *Canon Law and the Letters of Ivo of Chartres*, Cambridge University Press, 2010, pp. 1- 49.

(٢) Hugonis, *Historia Ecclesiastica*, P L, Migne, 163, intro. cols. 801- 802, 808- 809.

لم يقف جورج فيتز على عنواني الكتابين، لكن بما أن رسالة "هيو" إلى إيفو جاءت في مقدّمة كتابه التاريخ الكنسي، فلم يستبعد فيتز أن هذا الكتاب كان أحدهما، وأضاف إليه كتاب "هيو" عن تاريخ الفرنجة. انظر:

Hugonis Floriacensis, *Opera Historica*, ed. G. Waitz, intro. p. 341.

لشخصيات عظيمة في عصره، كملك إنجلترا هنري الأول (١١٠٠- ١١٣٥م)، وابنته ماتيلده Mathilda، وأخته الكونتيسة أديلا Adela، تؤكّد أهمية منزلته، وشهرته بين معاصريه(١).

وقد يُساعدنا أيضًا على استجلاء بعض جوانب شخصية "هيو" أن نراجع حاله الوظيفي، وهو عمله كراهب في دير فلوري الذي كان بندكتيًا، عمل في القرن العاشر بمبادئ دير كلوني الإصلاحية وبتوجيه رؤسائه(٢). على أنّ التغيرات الاقتصادية التي طرأت على دير كلوني في القرن الحادي عشر الميلادي، وما حازه من ضياع واسعة وأملاك عقارية في نورماندیا وإنجلترا ووسط فرنسا وألمانيا وإسبانيا، جعلت الجشع يُسيطر على رهبانه(٣)، وأدخلته النظام الإقطاعي من أوسع أبوابه(٤). وبلغ من سطوة هذا الدير أن دُعي رئيسه أوديلو Odilo (ت ١٠٤٩م) بلقب ملك *Rex*. والحقيقة أن هذه الطريقة الفجة في الإثراء لم تُرض العديد من الرهبان الراديكاليين الذين تمسّكوا بالتقشف والزهد على طريقة القديس بندكت، وكان من هؤلاء رهبان دير فلوري، الذين رفضوا بداية من القرن الثاني عشر تنفيذ قواعد دير كلوني(٥). ما نفيده من هذا أن "هيو" الفلوري حين يرفع عقيرته بدعم الملكية فإنما ذلك ينبع من قناعة وموضوعية بحتة.

وقد ترك "هيو" عدة كتب ودراسات، هي: التاريخ الكنسي *Historia ecclesiastica*، الذي تناول فيه سير الأباطرة حتى وفاة شارلمان، مع إضافة مختصرة عن لويس التقي (٨١٤-

---

(١) Sassier, Les premiers chapitres, p. 123.

(٢) يُسمى دير فلوري بدير القديس بندكت على نهر اللوار Saint-Benoît-sur-Loire، ويقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة أورليان. ويُرجّح أن تأسيسه يرجع إلى عام ٦٥١م في عهد الملك الميروفنجي كلوفيس الثاني. ويكتسب هذا الدير شهرة واسعة في الغرب الأوربي بسبب احتوائه على رفاة القديس بندكت النورسي حسب الرواية المتوارثة. كما أنّه منذ العام ٩٣١م خضع لتوجيه ومراقبة رؤساء دير كلوني. راجع:
Chenesseau, Georges, *L`abbaye de Fleury à St. Benoit sur Loire*, Paris, 1931.

(٣) Cowdery, Herbert, *The Cluniacs and the Gregorian Reform*, Oxford: The Clarendon Press, 1970, pp. 44- 46. Pour plus details, voir: Mazel, Florian, "Moines et grands laïcs provençaux au temps de la crise grégorienne (milieu XIe – milieu XIIe siècle)", dans *Pouvoirs, Église et société dans les royaumes de France, de Bourgogne et de Germanie aux X e et XIe siècles (888- vers 1110)*, ed. M. Lauwers & L. Ripart, Paris: Hachette Livre, 2008, pp. 97- 126 esp. 114.

(٤) Tellenbach, *The Church in Western Europe*, pp. 108- 115; Cowdery, *The Cluniacs and the Gregorian Reform*, pp. 46- 51. Voir plus details: Iogna-Prat, Dominique, "Cluny, le monachisme et la société au premier âge féodal (880-1050", *Bulletin du centre d'études médiévales d'Auxerre* 15 (2011), pp. 139- 168.

(٥) Constable, Giles, *The Reformation of the Twelfth Century*, 2nd ed. Cambridge & New York: Cambridge University Press, 1998, p. 28.

٨٤٠م) وخلافه مع أبنائه[١]. ورغم أنّ "هيو" أدرج معلومات تاريخية خاطئة في هذا الكتاب[٢]، وعمد إلى حشوه – خصوصًا فيما يتعلّق بسيرة شارلمان– بقسط وافر من الأخبار المُلفقة والمُبالغات، فأضفى عليه من القداسة والكرامة الإلهية ما هو كفيل أن يُطرح على الملائكة ورُسُل المسيح[٣]، غير أنّ طابعه العام يُوحي بترسيخ فكرة سمو المنزلة الملكية[٤].

وآية ذلك أنّ "هيو" حين يُخاطب أديلا Adela ابنة وليام الفاتح وكونتيسة بلوا Blois في مستهل ذات الكتاب لم يدّخر وسعًا في تمجيد أسلافها النورمانديين، وعلى الخصوص وليام الفاتح[٥]، يقول: "**إذا أراد المرء أن يعرف ذروة جلالتك، فعليه أن يدرك أنك ابنة وليام، أشهر أدواق النورمانديين وملك إنجلترا، تلك المملكة الشهيرة التي أخضعها بمهارته. لا يوجد ملك في عصرنا أكثر حكمة أو حظًا أو أكثر اعتدالًا من والدكم وليام**"[٦]. وهذا يُؤكّدُ أن "هيو" الفلوري كان كاتبًا ملكيًا بامتياز، رغم أنّه كان راهبًا، لم يعمل في خدمة الملوك، وعليه فإن آرائه وكتاباته نابعة من ذاته، مما يُعطيها مسحة من التميز والموضوعية.

ولـ "هيو" مؤلفان تاريخيان آخران، أولّهما مختصر يتناول تاريخ فرنجة مدينة سانس، *Historia Francorum Senonensis* بداية من عام ٦٨٨م حين كان يحكم رئيس البلاط

---

(١) لقد أخرج "هيو" للتاريخ الكنسي نسختين، الأولى حرّرها سنة ١١٠٩م في أربعة كُتُب، وانتهى فيها بموت شارلمان سنة ٨١٤م. وقد وردت هذه النسخة في طبعة MGH SS. والثانية أخرجها سنة ١١١٠م في ستة كُتُب، وهي الموجودة في الباترولوجيا، حيث ذهب فيها لغاية وفاة الإمبراطور الفرنجي لوثر عام ٨٥٥م.
Voir: Bauduin, Hugues de Fleury et l`histoire normande, p. 162.

(٢) Hugonis, *Historia Ecclesiastica*, P. L., intro., cols. 805- 820.

(٣) Gabriele, Matthew, *An Empire of Memory: The Legend of Charlemagne, the Franks, and Jerusalem before the First Crusade*, Oxford: Oxford University Press, 2011, pp. 41- 70.

(٤) Hugonis, *Historia Ecclesiastica*, col. 844 ff. Also: Pysiak, Jerzy, *The King and the Crown of Thorns Kingship and the Cult of Relics in Capetian France*, trans. S. Twardo, Berlin: Peter Lang, 2021, pp. 72- 73.

(٥) يجب الإشارة هنا إلى أنّ مديح "هيو" للملك وليام قد جاء في نسخته الأولى من التاريخ الكنسي، المُحرّرة عام ١١٠٩م، وحين أعاد "هيو" إخراج كتابه في العام ١١١٠م ضمّن مقدمته خطابه إلى أديلا، ولكن حذف منه مديحه لوليام. ويُبرّر بيير بودوان ذلك بأن "هيو" عزم حينئذٍ على تأليف تاريخه عن ملوك فرنسا وإنجلترا، حيث سيدرج مديحه لوليام، ويُهدي الكتاب إلى ماتيلدا ابنة هنري الأول (العادل). راجع:
Bauduin, Hugues de Fleury et l'histoire normande, pp. 162- 163.

(٦) Hugonis, *Historia Ecclesiastica, MGH SS*, vol. 9, ed. Pertz, p. 353. See also English translation: A Letter from Hugh of Fleury (1109/1110) to Adela of England, Countess of Blois, in *https://epistolae.ctl.columbia.edu/letter/98*.

"ببين Pepin هرستال" وصولًا إلى بداية عهد هنري الأول كابيه (١٠٣١– ١٠٦٠م)[١]. وثانيهما يحمل عنوان "كتاب يتضمّن الأعمال الحديثة لملوك الفرنجة" *Liber qui modernorum regum Francorum continent actus*، بدأه من حيث انتهي كتاب حوليات ملوك الفرنجة وملحق نيثارد The Royal Frankish Annals & Nithard's Histories سنة ٨٤٢م، وانتهى بوفاة ملك فرنسا فيليب الأول (١٠٥٢– ١١٠٨م)[٢]. وهو يكتسب كبير الأهمية مثل التاريخ الكنسي، ويُظهر إعجاب "هيو" بالحكّام النورمانديين في فرنسا وإنجلترا. وقد أهداه إلى ماتيلدا ابنة ملك إنجلترا هنري الأول، فأقبل في مُستهل الكتاب يمدح أسلافها مُضفيًا القداسة عليهم، يقول: "**أيتها السيدة المُعظّمة لقد عزمت على إهدائك هذا الكتاب بُغية التعريف بعظمة سلالتكم النبيلة، وبُغية الكشف عن نبالة أسلافكم عبر القرون الماضية... إن هذا الكتاب يُعدُّ بحثٌ عميق في تاريخ سلالتكم الأثيرة، وهو ردٌ واضح على الذين يتجاهلون هذا التاريخ**"[٣].

ورغم الأخطاء التاريخية التي وقع فيها "هيو" – فيما يخصّ السنوات وأسماء بعض الحكّام– غير أنّ روبير هنري بوتييه Bautier وبيير بودوان Bauduin ثمنّا كتاباته التاريخية، وعدّاها إسهامًا حقيقيًا في تطوير المدرسة التاريخية بدير فلوري، الذي كان له أعظم الأثر في تجديد كتابة التاريخ بفرنسا حتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي[٤].

وفضلًا عمّا سبق أنتج "هيو" ثلاث سير مُختصرة تحمل الطابع الهجيوجرافي: خصّصَ أولهـا لدير فوسي Fossés المَلَكي (Saint-Maur-des-Fossés)، الواقع جنوبي شرق

---

(١) Hugonis, *Historia Francorum Senonensis*, P L, ed. Migne, vol. 163, cols. 853- 864.

(٢) قدّم المُشرّع والموسوعي الشهير فرانسوا جيزو ترجمة مختصرة لهذا الكتاب، مبتدئاً إياها بعام ٩٤٩م، وأدرجها ضمن موسوعته عن تاريخ فرنسا، وكانت ترجمته بعنوان:
Hugues de Fleury, Chronique de à l' an 949 à l' an 1108, dans *Collection de mémoires relatifs à l`histoire de France*, vol. 7, ed. F. Guizot, Paris, 1826.

(٣) Hugonis, *Liber qui modernorum regum Francorum continent actus*, *P L*, vol. 163, col. 873. Voir aussi: Chronique de l' an 949 à l' an 1108, p. 61.

(٤) Bautier, Robert-Henri, "La Place de l’abbaye de Fleury-sur-Loire dans l’historiographie française du IX au XII siècle" dans *Études ligériennes d’histoire et d’archéologie médiévales: mémoires et exposés présentés à la Semaine d’études médiévales de Saint-Benoît-sur-Loire du 3 au 10 juillet 1969*, ed. par R. Louis, Auxerre: Publications de la Société des fouilles archéologiques et des monuments historiques de l’Yonne, 1975, pp. 25- 33; Idem, "L’École historique de l’abbaye de Fleury d’Aimoin à Hugues de Fleury", dans *Histoires de France, historiens de la France*, ed. Y. Bercé et P. Contamine, Paris: Champion, 1994, pp. 59–72; Bauduin, Hugues de Fleury, pp. 157- 172.

باريس[١]. وخصّص ثانيها للقدّيس ساكردوس الليموجي" *Vita sancti Sacerdotis Levomicensis* (ت حوالي ٧٢٠م)، نزولًا على رغبة رُهبان مدينة سارلا Sarlat، في جنوب غرب فرنسا[٢]. وجعل ثالثها سردًا مختصرًا لمعجزات القديس بندكت، ناقلًا إياها من كتاب "تاريخ الفرنجة" لصاحبه إيموا Aimoin راهب دير فلوري، المتوفي بعد ١٠٠٨م[٣].

ثم تأتي مقالة "هيو": السلطة الملكية والكرامة الكهنوتية *Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate* التي تُعدُّ أهم كتاباته على الإطلاق، لما لها من أثرٍ على الفكر السياسي في غرب أوربا في العصور الوسطى. والعجيب أنّ هذه المقالة لم تأخذ حقها في الانتشار والدراسة مثل غيرها من مؤلّفات القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين التي تعاهدتها أيدي النُسّاخ والشُرّاح[٤]، وآية ذلك أن تاريخ تأليفها غير معلوم.

وقد حاول عددٌ من المؤرخين الحديثين ضبط ميقات كتابة هذه المقالة؛ فطرح إرنست زاكور Sackur فترة ترجيحية بين نهاية عام ١١٠٢م إلى نهاية عام ١١٠٤م، ويُبرّر تاريخه الأول بأنّ "هيو" اقتبس في مقالته عبارات من حولية هيو فلافيني Hugh of Flavigny التي أنهاها عام

---

(١) Hugonis, *Fragmenta Historiae Fossatensis*, P L, vol. 163, cols. 863- 872.

هذا الدير بنته الملكة نانتيلده Nanthild والدة كلوفيس الثاني (٦٣٣– ٦٥٧م) عام ٦٣٩م. وحمل اسم سان مور الذي كان تلميذًا لبندكت النورسي، وقد أقام في هذ الدير إلى وفاته عام ٥٨٤م. انظر:

Wickstrom, John, *Fiction, Memory, and Identity in the Cult of St. Maurus, 830–1270*, Kalamazoo: Palgrave, 2022, pp. 15- 26 ff.

(٢) Hugonis, *Vita sancti Sacerdotis Levomicensis*, P L, vol. 163, cols. 931- 1004.

وللمزيد عن ساكردوس الليموجي راجع:

Couderc, Camille, "Note sur une compilation inédite de Hugues de Sainte-Marie et sa vie de saint Sacerdos, évêque de Limoges", *Bibliothèque de l'École des chartes* 54 (1893), pp. 468- 474.

(٣) Hugonis, *Aimoinus floriacensis de regno Francorum. Experta ex miraculis S. Bendicti, MGH SS*, vol. 9, ed. Pertz, pp. 374- 376.

(٤) من الغريب أن هذه المقالة حُفظت فقط في نسختين؛ الأولى ترجع إلى القرن الثاني عشر، فيما يُحتمل أنّها المخطوطة الأصلية، والثانية ترجع إلى القرن الثالث عشر، فيما يُرجّح أنّها منسوخة عن الأولى. انظر:

Cantor, Norman, *Church, Kingship and Lay Investiture in England 1089- 1135*, Princeton & New Jersey, 1958, p. 234 ولا يجد الباحث تفسيرًا لذلك إلا أن القائمين على الأديرة ومكتباتها قد تجاهلوا مقالة هيو، لما حملته من هجوم على المؤسسة الكنسية.

١١٠٢م[١]. وأمّا نهاية مقترحه فيرهنها "زاكور" بنزاع ملكي كهنوتي نشب في فرنسا على يد الملك فيليب الأول عام ١١٠٤م[٢]. وبتأكيد تاريخ ١١٠٢م كبداية لتأليف المقالة نستبعد مقترح جورج فيتز Waitz بوضعها عند سنة ١١٠٠م[٣]. ويجعل إيان روبنسون Robinson تأليف المقالة بين عامي ١١٠٢– ١١٠٥م، ويرى أنها مع غيرها من المقالات المؤيدة للسمو الملكي جاءت كرد فعل لخطاب البابا جريجوري عام ١٠٨١م[٤]. ويُؤيّد بيير بودوان Bauduin أيضًا فرضية عامي ١١٠٢– ١١٠٥م زمنًا لتأليف المقالة[٥]. ويظن نورمان كانتور Cantor أن تأليف المقالة كان سنة ١١٠٣، دون أن يسوق مبررات لذلك[٦]. ويرى إيف ساسييه Sassier أنّ "هيو" عكف على كتابة مقالته في فترة امتدت بين سنتي ١١٠٣– ١١٠٧م، حيث رهن بداية هذه الفترة بحدثين؛ أولّهما: النزاع حول تعيين الأساقفة الذي احتدم منذ سنة ١١٠٢م بين هنري الأول ملك إنجلترا وأسقفية كانتربري. وثانيهما: فراغ هيو الفلافيني من حوليته عام ١١٠٢م التي استشهد هيو الفلوري ببعض فقراتها[٧]. في حين برّرَ "ساسييه" نهاية المقالة بعام ١١٠٧م، أنَّه العام الذي شهد توقيع اتفاقية وستمنستر بين الملك هنري الأول وأنسلم Anselm أسقف كانتربري[٨].

---

(١) ولد هيو الفلافيني بين عامي ١٠٦٤و ١٠٦٥ في المنطقة المحيطة بفردان، والتي كانت آنذاك جزءًا من دوقية لوثارنجيا العليا. التحق راهبًا بدير القديس فان St. Vanne بفردان عام ١٠٧٦م. وشارك رودولف – رئيس هذا الدير– حماسه لبرنامج الإصلاح الجريجوري. وبسبب هذا الموقف تم طرده على يد الأسقف الملكي المحافظ ثيودريك الفرداني عام ١٠٨٥. حاز على ثقة هيو رئيس أساقفة ليون فعينه رئيسًا على دير فلافيني Flavigny-sur-Ozerain ببرجنديا في عام ١٠٩٦م. على أنّه فقد منصبه بين سنتي ١١٠٠– ١١٠١م بسبب تقلب مواقفه وتوجهاته، فهو تارة يُؤيد الجريجوريين في صراعهم مع المحافظين من أعضاء الحزب الإمبراطوري، ثم ينحاز إلى الأخيرين تارة أخرى. وقد تجسدت تناقضاته الذهنية في حوليته، حيث كان يغير في محتواها حسب مستجدات الصراع البابوي الإمبراطوري. انظر: Healy, Patrick, *The Chronicle of Hugh of Flavigny: Reform and the Investiture Contest in the Late Eleventh Century*, London: Ashgate, 2006, pp. 63- 88; Thomas, David & Mallett, Alexander, *Christian-Muslim Relations. A Bibliographical History.* vol. 3 (1050-1200), Brill, 2011, pp. 301- 305.

(٢) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, pp. 465- 466.

(٣) Hugonis, *Historia Ecclesiastica*, P. L., intro., col. 817.

(٤) Robinson, *Authority and Resistance in the Investiture Contest*, p. 115.

(٥) Bauduin, Hugues de Fleury et l'histoire normande, p. 161.

(٦) Cantor, *Church, Kingship and Lay Investiture in England 1089- 1135*, p. 233.

(٧) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*,p. 465.

(٨) Sassier, Les premiers chapitres, p. 124.

والباحث يأخذ بطرح ساسييه، إذ يبدو واضحًا من تمهيد مقالة هيو الفلوري أنّه كان يُريد إصلاح ذات البين بين الجانبين العلماني والكنسي، فيقول مُخاطبًا ملك إنجلترا هنري الأول: **"لدى تأملي – يا جلالة الملك– فيما يقع بين الكنيسة المُقدّسة والسلطة الملكية من نزاع بخصوص السلطة الملكية والكرامة الكهنوتية، وفيما يقع بينهما من تنافر واختلاف، قررت – بوازع من المحبة والغيرة الأخوية– أن أصنف هذه المقالة، عسى أن تهدأ بفضلها هذه الخصومة التي ما زالت تنتشر في الآفاق طولًا وعرضًا"**(١).

"هيو" الفلوري وميراث القرن الحادي عشر الميلادي بين أفكار الملَكيين والجريجوريين:

لا شك أن كاتبنا "هيو" الفلوري قد أفاد من الزخم الذي دار حول الصراع البابوي الإمبراطوري في منصرف سبعينيات القرن الحادي عشر الميلادي، وتعقّبَ الأفكار التي وُلدت في آتون هذا الصراع. وقد وجد مجالًا خصبًا في ميراث أنصار السمو المَلَكي، الذين نهضوا يُدافعون عن حق الملوك في تعيين رجال الدين، ويؤكّدون على سمو منزلتهم، فأعانوه على نسج نظريته الخاصة عن السمو الملكي. وكان من أبرز هؤلاء: فينريش التريفي Weinrich of Trier الذي حرّر بتوجيه ثيودريك أسقف فردان Verdun خطابًا في ٣٠ سبتمبر ١٠٨١م، يُفنّد مزاعم جريجوري بسيادة البابوية، ويعيب عليه تجاوزه على الملوك الذين حفظ لهم الكتاب المُقدّس مكانتهم، ويُحذّر أن هذا التعدّي من شأنه أن يضر نظام الكنيسة، ويُمزّق وحدة المُجتمع المسيحي(٢). ومنهم أيضًا: بتروس كراسوس Petrus Crassus الذي صاغ عام ١٠٨٤م مقالته "دفاعٌ عن هنري الرابع" *Defensio Heinrici IV*، أثبت فيها –مُستخدمًا براعته القانونية– خطأ البابوية في دعاويها بشأن الملوك(٣). وأيضًا بنزو الألبي Benzo of Alba الذي حرّر كُتيبًا إلى هنري

---

(١) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate,* p. 466.

(٢) Wenrici Trevirensis *epistola*, "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 1, Hannover, 1891, pp. 280- 299, esp. 282, 287- 288.
كان فينريش (هنري) كنسيًا قانونيًا ومُعلّمًا في مدينة تريف. أشار بعض المعاصرين إلى أنه تولى أسقفية فيرسيلي Vercelli بشمال إيطاليا، ولكن ذلك لم يثبت قطعيًا. وقد صاغ فينريش هجومه على البابا جريجوري السابع في إطارٍ قانوني بتحريض من ثيودريك الفرداني (ت ١٠٨٥م) الذي كان نصيرًا للإمبراطور هنري الرابع. راجع:
Ibid, intro., p. 283. Also: Melve, L, *Inventing the Public Sphere: The Public Debate During the Investiture Contest (c.1030-1122)*, Brill, 2007, vol. 1, pp. 281- 282ff.

(٣) Petri Crassi, *Defensio Heinrici IV*, Libelli de lite … *MGH SS*, vol. 1, pp. 432- 453. Also: Ullmann, Walter, *Medieval Foundations of Renaissance Humanism*, Ithaca, New York: Cornell University Press, 1977, p. 38.
غير معروف عن كراسوس سوى أنّه كان

الرابع عام ١٠٨٥م، حفظ له فيه منزلته، كنائب للرب في حكم مملكته الأرضية *vicarius conditoris*، وأثبت له حقه في السمو على كل السُلطات الأرضية، بما فيها الكنيسة والبابوية، إذ هو يُمثّل الرب في أفعاله وفضائله(١). وكذلك فيدو الأوسنابروكي Wido of Osnabruck الذي استنكر في مُعالجة مُختصرة قرب عام ١٠٨٥م جرأة البابا جريجوري السابع على حرمان الإمبراطور هنري الرابع كنسيًا. وراح يُعدّد مزايا الملوك منذ عهد قنسطنطين، ودورهم في حماية المسيحية، وصولًا إلى الأباطرة المصلحين، أسلاف هنري، الذين أنقذوا الكنيسة من مفاسدها(٢).

وحين تصدّى الجريجوريون المدافعون عن السمو الكنسي لهذه الأفكار، أفاد منهم أيضًا هيو الفلوري لبناء دفاعه عن الملكية. وكان من أبرز هؤلاء مانيجولد اللوتنباخي Manegold of Lautenbach الذي صرّح في رسالة إلى جبهارد أسقف كونستانس Gebhard of

---

قانونيًا ومُعلّمًا في مدينة رافنا. ويُشار إلى أنّه أول من استعان بالقانون الروماني في نظم دفاعه عن السلطة الملكية. راجع: Ibid; Melve, *Inventing* the *Public Sphere*, vol. 1, pp. 349- 350

(١) Benzonis episcopi Albensis, *Ad Heinricum IV imperatorem libri VII*, *MGH SS*, ed. Pertz, vol. 11, Hannover, 1854, pp. 591- 681 esp. 602, 609, 671. Also: Benzo of Alba, To Emperor Henry IV, in *The Papal of the Eleventh Century: Lives of Pope Leo IX and Pope Gregory VII*, trans. I. Robinson, Manchester & New York: Manchester University Press, 2004, pp. 365- 376. يُرجح أنّ بينزو وُلد عام ١٠١٠م في ألبا بشمال غرب إيطاليا. وتولى أسقفيه هذه المدينة عام ١٠٥٩م بتقليد إمبراطوري. حضر مجلس روما عام ١٠٥٩م وشهد بعين الرعب تصدر الحزب الإصلاحي للمشهد الديني والسياسي في روما. وكان أن تشبع بكراهية البابوات المصلحين وحلفائهم نورماندي الجنوب الإيطالي. كان له دورٌ سياسي في دعم الحزب الإمبراطوري في روما. ونتيجة لذلك طُرد من منصبه الكنسي بضغط من الحزب الجريجوري. صاحب الإمبراطور هنري الرابع في حملته على روما سنة ١٠٨١م، وكان من مُحرضيه على القيام بحملة ضد نورماندي الجنوب. ورغم جهوده في دعم هنري الرابع، لم يتمكن بينزو من العودة إلى أسقفية ألبا حتى وفاته قرب سنة ١٠٨٩م. انظر:
Ibid, intro., pp. 82- 88; Robinson, Ian, *Authority and Resistance in the Investiture Contest: The Polemical Literature of the Late Eleventh Century*, New York: Manchester University Press, 1979, pp. 70- 75.

(٢) Widonis Osnabrugensis, *Libro de controversia inter Hildebrandum et Heinricum imperatorum*, "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 1, Hannover, 1891, pp. 462- 470. من المعلومات الشحيحة عن فيدو نعرف أنّه كان من تلاميذ وأشياع بينو Benno أسقف مدينة أوسنابروك السكسونية الذي كان مناصرًا للإمبراطور هنري الرابع، وكارهًا للبابا جريجوري السابع. وقد صاغ فيدو دفاعه القانوني عن هنري الرابع بتوجيه أستاذه بينو. ولذلك نسب بعض الكتاب هذه الرسالة إلى الأخير. راجع:
Ibid, p. 461; Robinson, *Authority and Resistance in the Investiture Contest*, pp. 152, 159.

Constance سنة ١٠٨٥م: "**أن الملك المستبد يجب إسقاطه وحل رعيته من طاعته. وترجع إلى البابا صلاحية فعل ذلك، فهو الذي يُتوج وهو الذي يعزل**". واعتبر أن وظيفة الملك هي ضمن سلطات واختصاصات الأسقف، الذي يتنازل عنها مُختارًا لأحد الأمراء، ليحكم بمقتضى شريعة الرب، ورغبة الكنيسة. وعليه ألصق النعوت الأرضية الوضيعة بالملوك والأمراء والأدواق مُعتبرًا إيّاهم مجرّد وظائف أرضية، لا يتميز أصحابها بأية مكانة أو منزلة ربانية(١).

وقريب من هذا الطرح وضع برنولد الكونستانسي Bernold of Constance حوالي عام ١٠٨٦م دراسة من عدة مقالات، أكّد فيها على السلطة المُطلقة للبابا. وحيث جعل من آباء الكنيسة الأوائل مرجعية له في تحليلاته، توصّل إلى أن الكنيسة هي محور المجتمع المسيحي وأساسه. وبما أنّ البابا – نائب بُطرس – هو رأس الكنيسة، فإذن تنقاد إليه كافة سُلُطات المجتمع، بما فيها الملوك وسائر القوى العلمانية(٢).

---

(١) Manegold, *liber ad gebehardum*, "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 1, Hannover, 1891, pp. 365, 391- 392. Also: Robinson, *Authority and Resistance in the Investiture Contest*, pp. 124- 131; Canning, Joseph, *A History of Medieval Political Thought 300- 1450*, London & New York: Routledge, 2003, p. 105.
وُلد مانيجولد عام ١٠٦٠م بإقليم الألزاس جنوبي غرب ألمانيا، ولحق شابًا بدير لوتنباخ. ونشأ متعصبًا للجريجوريين متحمسًا لقضيتهم في صراعهم مع الإمبراطور هنري الرابع. تعرض ديره للتخريب على يد الحزب الإمبراطوري فلحق مانيجولد عام ١٠٨٦م ببافاريا حيث تعين رئيسًا على دير ريتنباخ Reitenbuch. تحمس لمناصرة البابا أوربان الثاني في صراعه مع هنري الرابع حتى أنّه شكل ميليشيا عسكرية في دير مارباخ Marbach للتصدي للحزب الإمبراطوري. سُجن سنوات على يد هنري الرابع. ثم أطلق سراحه، وتعين رئيسًا لدير مارباسينسيس Marbacensis سنة ١١٠٣. ومات بعد ذلك بقليل. انحصرت كتاباته في الدفاع عن البابوات المصلحين، ومهاجمة رجال الدين المحافظين من الحزب الإمبراطوري. راجع: *liber ad gebehardum*, intro., pp. 300- 302; *Liber Contra Welfelmum*, "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 1, pp. 303- 308.

(٢) Bernaldi, *Libelli*, ed. Thaner, in "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 2, Hannover, 1892, pp. 1- 168, esp. 96- 98. Also: Peyret, Jean, *Bernold de Constance: La réforme de St. Grégoire VII au point de vue théologie*, PHD diss., Université de Lyon, 1904, pp. 53- 74.
وُلد برنولد في مدينة كونستانس السوابية بأقصى جنوب المانيا قرب عام ١٠٥٤م. تلقى صغيرًا دراساته في الأدب واللاهوت. وشب مُناصرًا للإصلاح الجريجوري، وهاجم زواج رجال الدين. وقد جلبت له مواقفه عداء رجال الدين المحافظين في كونستانس مما اضطره إلى الرحيل قاصدًا روما سنة ١٠٧٩م. عاد إلى ألمانيا سنة ١٠٨٤م وترسم سنة ١٠٨٦م راهبًا في دير بندكتي قرب مدينة شافهاوزن Schaffhausen، وبقي إلى وفاته في سبتمبر

ومن المنظرين للسمو الكنسي أيضًا: أنسلم اللوقي Anselm of Lucca الذي أعلن في ثمانينات القرن الحادي عشر الميلادي: "**أن الله لم يستخدم الملوك لكي يُشرّعوا للكهنة، بل استخدم الكهنة ليُوجّهوا الملوك وأفراد الرعية**"(١). وفرض "أنسلم" رؤية راديكالية على نظرية السيفين، واضعًا كليهما تحت سلطان الكنيسة(٢).

وكذلك ديوسديديت الفينكولي Deusdedit of San Pietro in Vincoli الذي أعلن في دراسة قانونية رفعها إلى البابا فيكتور الثالث (١٠٨٦- ١٠٨٧م): "**أن سلطة الكنيسة المُكرّسة من الرب تمنح رجالها التفوق على كل العالم المسيحي**"(٣). وقد اعتمد ديوسديديت – لصياغة دراسته– على تفسيراته الخاصة لقرارات المجالس الكنسية الباكرة، ولنصوص آباء الكنيسة. كما

١١٠٠م. في كتاباته دافع برنولد عن الإصلاح الكنسي وهاجم رجال الدين الفاسدين. وكان من أشد المتحمسين لسمو السلطة البابوية. راجع: Ibid, pp. 2- 12.

(١) Anselmi lucensis, *Liber contra Wibertum*, ed. E. Bernhem, "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 1, Hannover, 1891, pp. 519- 528, esp. p. 521; Idem, *Collectio Canonum*, ed. F. Thaner, Innsbruck, 1915, 1: C 63. ينتمي أنسلم (ت ١٠٨٦م) إلى عائلة نبيلة في ميلان. تلقى تعليمه تحت رعاية أسرته وبتوجيه عمه أنسلم الأكبر الذي كان أسقفًا لمدينة لوقا بشمال إيطاليا. درس الكتاب المقدس وكتابات آباء الكنيسة لا سيّما أمبروز، كما درس القانون. ترسم أنسلم أسقفًا للوقا عام ١٠٧٣م على يد البابا ألكسندر الثاني. وشهد الفوضى التي عمّت في شمال إيطاليا بسبب الخلاف البابوي الإمبراطوري، وشبّ مناصرًا متحمسًا للإصلاح الجريجوري، كارهًا شديد العداوة للحزب الإمبراطوري وتدخله في التعيينات الكنسية. كما أفرد قسمًا من عداوته لقانوني شمال إيطاليا الذين ناصبوا الإصلاح الكنسي العداء. وحاز ثقة البابا جريجوري السابع والكونتيسة ماتيلدا التوسكانية على السواء. تعكس كتاباته تأييده الواضح للإصلاح الكنسي ودعمه لسمو البابوية. قام بجمع القوانين الكنسية وضمّنها قوانين جستنيان، وصنف كل هذا في ثلاثة عشر كتابًا، بهدف دعم الإصلاح الكنسي والرد على القانونيين الذين يُهاجمونه. وكان مصنفه القانوني هو الأساس الذي بنى عليه جراتيان مؤلفه في القرن الثاني عشر الميلادي. راجع: *Vita Anselmi episcopi Lucensis*, ed. R. Wilmans, *MGH SS* vol. 12, pp. 1- 35. Also: Cushing, Kathleen, *Papacy and Law in the Gregorian Revolution: The Canonistic Work of Anselm of Lucca*, Oxford: Clarendon Press, 1998, pp. 43- 63.

(٢) Anselmi, *Collectio Canonum*, 12: 45- 54; 13: 23, 28. Also: Cushing, Kathleen, "Anselm of Lucca and the Doctrine of Coercion: The Legal Impact of the Schism of 1080?" *The Catholic Historical Review* 81: 3 (Jul., 1995), pp. 353- 371 esp. pp. 364- 365.

(٣) Preface to the Book of Canons of Cardinal Deusdedit 1086: Dedicatory Letter to Pope Victor III and the Clergy of the Roman Church, in: *Prefaces to Canon Law Books in Latin Christianity: Selected Translations 500- 1245 AD*, comment. & trans. R. Somerville & B. Brasinton, New Haven- London: Yale University Press, 1998, pp. 122- 129.

أضفى في كتيب ألّفه في تسعينيات القرن الحادي عشر بعنوان *Libellus contra invasores et simoniacos* القدسية على مناصب الأساقفة والبابوية، وأعلن **عصمتها من الخطأ على عكس المنصب الملكي الذي أصله الشر والجرائم البشرية**. ومن ثمّ أكّد التفوق الساحق للسلطة الكهنوتية *Auctoritas Secerdotale* على السلطة الملكية، حيث أن الأولى أقرّها الرب بسلطانه المطلق، في حين أن الثانية جاءت من اختراع البشر(١).

والواضح أن هؤلاء– سواء أكانوا جريجوريين أم مَلَكيين– قد بنوا أفكارهم على ما ورد في الإملاء البابوي *Dictatus Papae* عامي ١٠٧٤– ١٠٧٥م عن خضوع السلطات الأرضية للبابا(٢). وأيضًا على ما ورد في خطاب البابا جريجوري السابع إلى هيرمان أسقف ميتز Metz في مايو عام ١٠٨١م عن المنبع الشرير للملكية(٣). وهذا الخطاب – في أكثر قراءاته خبثًا–

---

(١) Deusdedit, *Libellus contra invasores et simoniacos et reliquos schismaticos*, ed. E. Sackur, *MGH SS*, vol. 2, Hannover, 1892, pp. 300- 365. معلوماتنا عن ديوسديديت شحيحة. وُلد في تودي Todi – بروجيا بوسط إيطاليا، وتعلّم بها. تدرّج في الوظائف الكنسية حتى رُسِم كاردينالًا أسقفًا سنة ١٠٧٨م في كنيسة سان بطرس فينكولي بروما. كان من مؤيدي الإصلاح الكنسي، ومن أشد أنصار البابا جريجوري السابع الذي أسفره إلى ألمانيا إبّان صراعه مع الإمبراطور هنري الرابع؛ لإنجاز بعض المهام الدينية والسياسية. يظن البعض أنّه ساهم في صياغة الإملاء البابوي *Dictatus Papae* عامي ١٠٧٤– ١٠٧٥م. وقد جاءت وفاته بين سنتي ١٠٩٧– ١١٠٠م. انظر:
Ibid, pp. 292- 300. Also: Robinson, *Authority and Resistance in the Investiture Contest*, pp. 28, 41- 42, 46- 49.

(٢) أُدرج هذا المرسوم في سجلات البابا جريجوري السابع عام ١٠٧٥م، ولكن يُرجّح أن صياغته ترجع لعام ١٠٧٤م، وقد جاء فيه: "أن كافة الأمراء يجب عليهم تقبيل قدمي البابا... وأن من صلاحيات البابا عزل الأباطرة". انظر: Henderson, Ernest, *Selected Historical Documents of the Middle Ages*, London, 1896, p. 366; وانظر ترجمة المرحوم الدكتور قاسم عبده قاسم في كتابه الحملة الصليبية الأولى: نصوص ووثائق تاريخية، القاهرة، دار عين، ٢٠٠١، ص ٥١، للمزيد راجع:
Annales Ecclesiastici, t. 17, Roma, 1859, p. 396; Robinson Ian, *Henry IV of Germany 1056–1106*, Cambridge University Press, 1999, pp. 134- 135.

(٣) جاء في هذا الخطاب: "أفلا تخضع سلطة أقامها العلمانيون – حتى وإن كانوا لا يعرفون الرب– إلى السلطة التي تأسست من الكرامة الإلهية والرحمة التي شملت كل العالم؟ ... من ذا الذي لا يعرف أن الملوك والحكام قد ورثوا سلطتهم من الذين غفلوا عن ذكر الله، واتّخذوا لأنفسهم– بوازع جشعهم الأعمى وادعاءاتهم التي لا تُطاق– حق السيادة والسيطرة على نظرائهم، مستخدمين في ذلك: الزهو والعنف وفساد الإيمان والقتل، وكل أنواع الجرائم، يقودهم في هذا كله الشيطان، أمير هذه الدنيا؟ ... من الذي يشك أن أساقفة الرب يُعدوا أباءًا للملوك والأمراء، وسادة عليهم وعلى كل المؤمنين؟". للتفاصيل راجع:

يُريد الوصول بنا إلى أنّ الملكية لن تحظى بالسلطة الشرعية إلا بموافقة وتأييد الكنيسة، وأن الأخيرة يُمكنها التدخل لتقويم سياسات الملوك وتقويض سلطانهم إذا لزم الأمر(١).

وقد تصدّى "هيو" بوضوح لهذا الخطاب فضلًا عن الإملاء البابوي، وفنّد مزاعم الجريجوريين – المستمدة منهما– عن الأصل الشرير للسلطة الملكية، مؤكّدًا أنّها باطلة وتافهة، يقول: "**لا يخفى في أيّامنا هذه أن البعض يرى أن مصدر سُلطة الملوك ليس هو الله، بل تأتي من المُتكبّرين واللصوص والآثمين والقتلة، وبالجملة من إبليس، فيستولون على السُلطة بأطماعهم العمياء، وبُجرأة وفتكٍ لا حد لهما. إن تفاهة هذا الرأي يردها قول الرسول في الكتاب المُقدّس: لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ، وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ(٢). فيتّضح أنّ الله هو الذي يُقرُّ على الأرض السلطة الملكية ويعتمدها، لا الإنسان. وهو الذي زود الإنسان بالحكمة، وسلّطه على سائر خلائق هذا العالم، الذي يشبه على نحوٍ ما الجسد، والإنسان منه بمثابة الرأس، فالمُحتّم أن يخضع الجسد للرأس**"(٣).

Documents of The Christian Church, pp. 104- 110 esp. 106; *The Correspondence of Pope Gregory VII: Selected letters from the Registrum*, trans. E. Emerton, New York: Octagon Books, 1979, pp. 166- 175 esp. 169.

ورغم أن أوغسطين فليش قد ذهب في دراسته المُفصّلة عن الإصلاح الجريجوري إلى أنّ أفكار هذا البابا جاءت وليدة الأحداث السياسية والعسكرية التي مرّت بها البابوية خلال القرن الحادي عشر الميلادي، انظر:

Fliche, Augustin, *La réforme grégorienne*, 3 vols., Genève: Slatkine Reprints, 1979.

غير أنّ خطاب البابا جريجوري– سالف الذكر– قد مثّل لأنصاره محورًا رئيسًا، بنوا عليه لغاية القرن الثالث عشر حكمهم بدونية السلطة الملكية، وضرورة خضوعها للكنيسة. ومثّل محورًا رئيسًا في نظرية "هيو" كما سيأتي ذكره.

(١) Sassier, "Les premiers chapitres, p. 128. For more details see: Tivey, Michael, *Defining Ideology in the Pontificate of Gregory VII*, MA diss., University of Birmingham, 2011, p. 57 ff.

(٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٣: ١.

(٣) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, p. 467.

أفاد "هيو" في هذا الموضع من قول إيزيدور الإشبيلي (ت ٦٣٦م). "لقد أعطى الله الأمراء الحق لحكم الشعوب، وأرادهم أن يرأسوها". *Dedit Deus principibus praesulatum pro regimine populorum, et illis eos praeesse uoluit cum quibus una est eis nascendi moriendique conditio* راجع:

Isidorus Hispalensis, *Sententiae libri*, 3. 49: 3. (*www.thelatinlibrary.com/isidore*).

ويقتبس أيضًا من تفسير إيزيدور لكلمتي Sacerdos وRegum؛ حيث أعلن أن الأولى جاءت من التضحية، والثانية من فعل الحكم، فالملك خُلق لكي يحكم ويُقوّم، وأما الكاهن فلكي يُضحي. انظر: *Etymologiarum sive originum libri XX*, ed. W. Lindsay, Oxford, 1911, Lib. 9: 3, p. 362.

يكشف رد "هيو" أن الجانب الجريجوري كان يُطالب بهيمنة كنسية كاملة، ولا يرضى في سبيل ذلك بحلول وسطية. كما يكشف تأثّره بالقانونيين الذين نهضوا في العقد الأخير من القرن الحادي عشر لمواجهة الحزب الجريجوري، وأقبلوا يُنظّرون لسمو الملكية أو على الأقل يُنادون بحفظ مكانتها بالتوازي مع منزلة الكهنوت(١)، وهؤلاء كانت أفكارهم دعامات حيوية لبناء نظرية هيو الفلوري عن السمو الملكي.

فنجده مثلًا يلتقط الخيط من دفاع إيفو الشارتري عن مشروعية قيام الملك وحقه في وراثة العرش، وتأكيده ألّا يكون للأساقفة دورٌ في تنصيبه، عدا المشاركة في مراسم التتويج الذي يقتضي المسحة المُقدسة *unctio regis*(٢). ويفيدُ من "هيو" الفلافيني حين أعلن أن الملك الصالح لا يُشترط فيه إرضاء أساقفة الكنيسة بقدر ما يجب أن يكون عادلًا حريصًا على نشر السلام بين رعيته، ولذلك فالملوك ليسوا من أصول شريرة كما يرى الجريجوريون، بل هم وزراء الرب في ملكوته الأرضي. وإذا همُ خالفوا روح العدالة بين رعاياهم فإن واجب الأساقفة توجيه النصح إليهم، واستقبال توبتهم، ومنحهم الكفّارة(٣)، ليُعلن: أنّ الحاجة للسلطة الملكية ماسّة ولا غِنى عنها، وذلك لفرض القانون وتقويم سلوك البشر، وإلزامهم جادة طريق الإيمان، وهذا ما لا تستطيعه السلطة الروحية بمُفردها، يقول: "**إنّ الله القادر على كل شيء ولّى على الشعب ملكًا، يُردعه عن فعل الشر، ويبسط عليه سيطرته بالقانون في سبيل حياة مستقيمة. ولمّا كانت المملكة الأرضية كثيرًا ما تدعم المملكة السماوية، فالذي لا ينجح الكاهن في تحقيقه بالوعظ،**

---

(١) كان التصور السائد في غرب أوربا القرن الثاني عشر الميلادي أن المجتمع المسيحي يقوم على عناصر ثلاثة، هم الكاهن والفارس والراهب. وقد صوّرتهم مخطوطة رهبانية بالقرن الثاني عشر؛ فجعلت الكاهن في الوسط ممسكٌ بسيف رمزًا للسلطة الروحية، وعلى يساره يقف الفارس ممسكٌ أيضًا بسيف السلطة الزمنية، وعلى يمينه راهب يبكي، الذي وظيفته الصلاة. راجع: Chenu, Marie-Dominique, *Nature, Man, and Society in the Twelfth Century: Essays of New Theological Perspectives in the Latin West*, p. 225. وهذا يُخالف ما وقر في مُخيّلة الأوربي خلال الحقبة الكارولنجية، أنّ المجتمع الغربي يتقاسمه: الحكام والكُهّان والفلاحون. راجع: Le Goff, Jacques, Les trois fonctions indo-européennes, l'histoire et l'Europe féodale, *Annales, Economies, Societes, Civilisations* 34 (1979), pp. 1187- 1215 esp. 1192.

(٢) Pacaut, Marcel, *Doctrines politiques et structures ecclesiastiques dans l`Occident médiévale*, London: Variorum Reprints, 1985, p. 347.
توشار، تاريخ الأفكار السياسية، ١/ ٢٤٦.

(٣) Hugonis abbas Flaviniacensis, *Chronica*, P L, ed. Migne, 154 (1), cols. 310- 314 ff.

تُحقّقه السلطة الملكية بالتخويف والترهيب. والشعب إذا لم تردعه عن ارتكاب السلوك الأعوج خشية الله والخوف من الجحيم، فإنّه لا محالة يخشى عقاب الملك"(١). يصل هيو من هذا إلى أنّ السلطة الكنسية لا تكفي لإدارة مجتمع مسيحي ناجح، بل يجب وجود ملك يُرهب الجميع، حتى وإن كان ملكًا شريرًا، إذ بوجوده يستقيم ناموس الحياة: "**لقد وضع الله الخالق لعباده من النظام ما يُتيح أن يصنع لهم الخير بالصالحين والطالحين... الأمر الذي ينتج عنه أن الملاك الشرير والإنسان الشرير إنّما يتجندان للعناية الإلهية، ويكونان في النهاية لخير البشر**"(٢).

وفضلًا عمّا سبق تأثر "هيو" الفلوري بدراستين قانونيتين ثريتين، استقى منهما – كما سوف نرى– صميم أفكاره عن السمو الملكي. أولاهما دراسة خطّها بين سنتي ١٠٩١– ١٠٩٣م راهب مجهول ينتمي إلى دير هيرسفيلد Hersfeld بألمانيا تحت عنوان: *Liber de unitate ecclesiae conservanda*(٣)، حرِص فيها على إثبات حق الملوك في تعيين الأساقفة، وأقبل في الوقت نفسه يدحض نظرية الجريجوريين بأسبقية البابوية على السلطة الزمنية. وقد بنى هذا الراهب أفكاره على كتابات بعض آباء الكنيسة الأوائل(٤)، فنفى أسبقية كنيسة روما على غيرها

---

(١) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, p. 469.
أفاد "هيو" في هذا الموضع من قول إيزيدور الإشبيلي: "يتم اختيار الأمراء والملوك من بين الأمم، لكي يُرعبون الناس، ويجعلونهم يطيعون الشريعة". ومن قوله أيضًا: "غالبًا ما يتقدم الملكوت السماوي بواسطة الملكوت الأرضي، حين يتم سحق أولئك الذين يعملون ضد الكنيسة بأيدي الأمراء. وإن سُلطة هؤلاء الذين يتمتعون بالقوة لحماية الكنيسة وفرض الانضباط عليها لتستحق التبجيل". انظر: *Sententiae libri* 3, 47: 1; 51: 5

(٢) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, p. 469.
يعتمد "هيو" على نصوص بولس، رسالة رومية، ١٣: ٣– ٤. ومن أوغسطين أيضًا. راجع: مدينة الله، ترجمة: يوحنا الحلو، ط٢، بيروت، دار المشرق، ٢٠٠٧، المجلد الثاني، ١٢: ١؛ المجلد الثالث، ٢٢: ١. وأيضًا من كتابه: الحياة المسيحية، تعريب: القمص إشعياء ميخائيل، مطرانية البحيرة، ١٩٨٧، ص ٢٠– ٢٢.

(٣) Robinson, *Authority and Resistance in the Investiture Contest*, p. 171.

(٤) أفاد مجهول هيرسفيلد من مقالة "عن وحدة الكنيسة الكاثوليكية" *De Ecclesiae Catholicae Unitate* لـ قبريانوس القرطاجنّي St. Cyprians of Carthage (عاش بين سنتي ٢١٠– ٢٥٨م) التي واجه فيها البدع المُدخلة على الكنيسة. كما أشار بوضوح إلى أنّ الرسول بطرس لم ينفرد ببركة المسيح، رغم انّه اختصه ببناء كنيسته الأولى، ولكن المسيح منح البركة وقوة استقبال الروح القدس لجميع الرسل من تلاميذه بالتساوي. وحين خصَّ بطرس ببناء الكنيسة فإنّما كان سعيًا لوحدتها منذ البداية، ومنعًا لاختلاف القائمين عليها، ولكنه لم يمنحه السلطة على الآخرين. وعليه نزع قبريانوس من بابا روما صلاحية محاكمة غيره من الأساقفة، إذ يراه مساويًا لهم. راجع:

من الأسقفيات الكبرى. وطعن في سلطة البابا مُنكرًا أحقيته في مُحاكمة غيره من أرباب الوظائف العلمانية والدينية[١]. وراح يُؤكّدُ أنّ هذه الصلاحية هي حقٌ أصيلٌ للملوك والأباطرة الغربيين- منذ ببين القصير (٧٥١- ٧٦٨م)- الذين اكتسبوا قداستهم بمقتضى مسحة الرب المُباركة، وبسطوا حمايتهم على كنيسة روما[٢]. وعاب هذا الكاتب على البابا جريجوري السابع تحريره الخطاب المُشين في حق السلطة الملكية عام ١٠٨١م، مُتّهمًا إياه بتفريق كلمة الأمّة المسيحية، والإساءة إلى الكنيسة[٣].

والدراسة الثانية حرّرَها في العام ١١٠٠م مجهولٌ آخرٌ ينتمي إلى نورمانديا The Norman Anonymous على هيئة أربع مقالات تحت اسم *Tractatus*[٤]. ويظهر فيها تأثره الواضح بمجهول هيرسفيلد؛ فحَمَل على أسقفية روما، مُعلنًا أن كنيسة بيت المقدس تسبقها في

See: Cyprian, The Treaties: On the Unity of the Church, in *The Writings of the Fathers Down to AD 325: Ante- Nicene Fathers*, vol. 5, ed. A. Roberts & J. Donaldson, Edinburgh, W. D, pp. 979- 995 esp. pp. 981- 982. Also: Bevont, Maurice, *The Tradition of Manuscripts: A Study in the Transmission of St. Cyprian`s Treaties*, Oxford: Clarendon Press, 1961, pp. 60- 61;

وللمزيد: رحمه، (الأب) جورج، قبريانوس القرطاجني، موسوعة عظماء المسيحية، الدكوانة- لبنان، ١٩٩٣، ص ٦٤- ٧١. ويتّهم مجهول هيرسفيلد الجرجوريين باجتزاء نص قبريانوس، إذ أقاموا حجّتهم على تفرّد بطرس ببناء الكنيسة، في حين تجاهلوا أنّه متساوي مع بقية تلاميذ المسيح في البركة، وبذلك تنعدم ميزة أسبقيته عليهم. والكاتب هنا يطعن في أسبقية كنيسة روما من الأساس. انظر:

Robinson, *Authority and Resistance in the Investiture Contest*, p. 172; Canning, *A History of Medieval Political Thought 300- 1450*, p. 106.

(١) *Liber de unitate ecclesiae conservanda*, ed. Waltrami, Scriptores Rerum Germanicarum, *MGH R*, vol. 38, p. 2.

(٢) Ibid, pp. 2- 7.

(٣) *Liber de unitate ecclesiae conservanda*, pp. 2, 7- 10.

(٤) Canning, *A History of Medieval Political Thought 300- 1450*, p. 106.

جرى الاعتقاد أن هذا الكاتب يُنسب إلى مدينة يورك الإنجليزية، وأكّد ذلك بويمر مُحرر مقالاته. راجع:

Tractatus Eboracenses (I- VI), ed. H. Boehmer, "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 3, Hannover, 1897, intro.

ولكن المؤرخ جورج وليامز تناول هذا الكاتب بالدراسة، وخلص إلى أنّه ينتمي إلى نورمانديا لا إنجلترا. راجع:

Williams, George, *The Norman Anonymous of 1100 A. D: Toward the Identification and Evaluation of the So-called Anonymous of York*, Cambridge & Massachusetts, 1951, pp. 1- 24 ff. Also: Pellens, K., The Tracts of the Norman Anonymous: C.C.C.C. MS. 415, *Transactions of the Cambridge Bibliographical* Society 4: 2 (1965), pp. 155- 165; Canning, *History of Medieval Political*, p. 104.

المنزلة الدينية، ولكن الأولى انتزعت مكانتها، ليس بأمر المسيح ولا بكرامة رسله، بل بترتيب البشر الذين رسّخوا مكانتها من خلال موقعها بروما الخالدة، وبإقرار السلطة العلمانية(١).

ويخصص هذا الكاتب مديحه للسلطة الملكية، مُحيطًا الملوك بهالة ثيولوجية، ومؤكّدًا أنّهم مع الأساقفة يُوجّهون المجتمع المسيحي إلى الطريق الصحيح، يقول: "**إن الملوك الآباء المقدسين تمتعوا بالسلطة المُقدّسة حين كُرّسوا في كنيسة الرب أمام المذبح المُكرّم، وحين مُسحوا بالزيت المقدّس ومُنحوا البركة السماوية ليُصبحوا حكامًا على شعب الرب، وعلى كنيسته. هم الذين يُديرون الكنيسة ويُثبتون دعائمها، ويُمكنهم مع الأساقفة أن يُصرّفوا شؤونها ضمن المملكة في ترتيب كوني مُحكم، وفق تعاليم الرب. وليس بغريب أن يكون للملك سلطان على الكنيسة، حيث له السلطان على أجساد المسيحيين... وبما أن الملك تلقى البركة السماوية فحريٌ ألا يتقدمه أحد، ولا يتجاوزه أحد وإن كان رجل دين، لأن الملك متفرّد بمقتضى الكرامة الملكية**"(٢).

وقد أقام "هيو" على هذا القول محورًا أصيلًا من محاور نظريته، وهو مطلقية سلطات الملك، يقول: "**لابد للرعايا من احترام أصحاب السلطة الزمنية، وإن لم يكن تقديرًا لهم، فلا أقل من أن يكون تقديرًا لمنصبهم ورتبتهم التي تلقوها من الله**(٣). **ذلك أنّه قد يُنفّذ- في بعض الأحيان- إرادته العادلة القويمة بواسطة أفعال غاشمة للبشر، وهذا ما يأمر به الرسول بقوله "لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ، لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ**(٤)"... **فلّما كنا ممن يعلمون ذلك، ويُؤمنون به، ويعملون بوصية الرسول، وجب أن نُكرّم أصحاب السلطة ولو كانوا وثنيين، متحملين صابرين ما ينالنا على أيديهم من سوء، كي لا نبدو مخالفين لله، الذي جعل هؤلاء بمقتضى مناصبهم يتولون ويحكمون الشعوب...بالحري يجب على المؤمنين كافة أن يُطيعوا ويُكرموا الملك والسلطات الزمنية، بالمثل كما يبذلون لله طهارة الجسد والنفس بلا مساس**"(٥).

---

(١) *Tractatus Eboracenses*, tract. 4, pp. 659- 660; The Norman Anonymous: Selected Passages, in *English Historical Documents 1042- 1189*, ed. D. Douglas & G. Greenaway, 2nd ed., London & New York: Routledge, 1981, p. 725.

(٢) *Tractatus Eboracenses*, trac. 4, pp. 663- 664; Norman Anonymous, pp. 725- 726.

(٣) يستشهد "هيو" بحادثة المسيح حين تجنّب متواضعًا مواجهة هيرودس الطاغية. انظر: لوقا ٢٣: ٨- ٩.

(٤) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٣: ١.

(٥) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, pp. 470, 472.

وحين جمع مجهول نورماندیا للملك سلطتي إدارة الدولة والكنيسة، فقال: "**لا يُعتبر الملك مجرّد علماني، لأنّه الحاكم الأعلى والراعي والسيد والمُدافع والموجّه للكنيسة، فهو السيد على إخوته في الدين. ولا يُقبل القول بأن الملك أقل منزلة من الأسقف لأنّه يُكرّسه، فالمعلوم أن الأعلى منزلة يُكرّس بيد الأدنى، كما يُرسّم البابا بيد الكرادلة والمطارنة الذين هم أدنى منه، وهؤلاء يُكرّسوا بيد الأساقفة المساعدين**[١]. تلقّف "هيو" منه ذلك أيضًا، وأداره بمهارة ليفرض طرحًا ثيولوجيًا يُرسخ ازدواجية الحاكم والكاهن في شخص الملك، يقول: "**يأخذ الملك في سائر مملكته صورة الله، القادر على كل شيء، في حين يأخذ الأسقف صورة المسيح**". وإذا كان الله هو رأس المسيح[٢]، فلا يرى "هيو" غضاضة في أن يفرض الملك سلطانه على الكنيسة[٣].

وقد أثار هذا الطرح جدلًا واسعًا بين اللاهوتيين ورجال الفكر السياسي حتى اليوم، واعتمده إرنست كانتوروفيتش Kantorowicz أساسًا لإخراج نظريته الشهيرة عن ازدواجية السلطة الزمنية والروحية في شخص الملك، مُعتمدًا أن هذا الطرح جعل من الملك مسيح الرب، تجلّله النعمة السماوية في الأرض والسماء. وجعل الملك شبيهًا بالمسيح *regis/ christi* يحمل طبيعتين، أرضية وسماوية، مُعلنًا أنّها ثُنائية لقطبٍ واحد، بالتالي فالسلطة الأسقفية تذوب في جسد الملك. ويُعلّق كانتوروفيتش على ديالكتيك مجهول نورماندیا وهيو الفلوري أنّهما شجعا أوربا على تقبّل الفكرة التي مهد لها "إيفو" الشارتري، وهي أن يحلّ ملكٌ مسيحٌ على الأرض ممُثّلًا للرب في السماء. والملك على هذه الصورة يتقدّم ليتورجيًا إلى مذبح الكنيسة بوصفه قديس، مساويًا وبالكفاءة نفسها لصورته في بلاط الحكم وهو يُؤدي مهامه الوظيفية والتشريعية[٤].

لا يكتفي "هيو" هنا بالاعتماد على مجهولي هيرسفيلد ونورماندیا، بل يرجع إلى قاعدة: "أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ". انظر: (متى ٢٢: ٢١؛ مرقس ١٢: ١٧؛ لوقا ٢٠: ٢٥). وأيضًا يقتبس من: مدينة الله، ١، ٥: ١٩، ٢١؛ ٣، ١٩: ٢٦. ومن كتاب جريجوري الكبير. راجع:

The Books of Morals, trans. J. Parker, London, 1894, 25: 16.

(١) *Tractatus Eboracenses*, trac. 4, pp. 663- 679; Norman Anonymous, pp. 725- 726.

(٢) وَلكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُل هُوَ الْمَسِيحُ، وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ، وَرَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللهُ. (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس١١: ٣).

(٣) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, pp. 468, 490.

(٤) Kantorowicz, Ernest, *The King's Two Bodies: A Study in Medieval Political Theology*, Princeton: Princeton University Press, 1957, pp. 48- 49, 53, 55- 58. About Kantorowicz`s theory See: Antenhofer, Christina, "The Concept of the

وحين هاجم الكاتب النورماندي البابوية بجرأة نادرة، عادًّا إياها السبب الرئيس في فساد العلاقة بين السلطتين الزمنية والروحية، يقول: "**هم البابوات الذين يعملون على إلحاق الضرر الجسيم بالكنيسة كليًا، إذ يُجاهدون لإبعاد السلطة الملكية عن حكم وإدارة جميع الكنائس، رغم إقرار البابا جيلازيوس بأن كلتا السلطتين: الملكية والأسقفية تديران هذا العالم، ما يترتب عليه الاعتراف بهما سيدتين شرعيتين على الكنيسة... وإذا كانت وظيفة الأسقف استقبال التائبين وتقديم الكفارة، وتيسير غفران الذنوب، فإن السلطة الملكية أجلُّ وأسمى، حيث تكفل حماية الكنيسة من أعدائها، وتكفل حماية السلطة الأسقفية نفسها من الأشرار والفاسدين**[١]، أيّده "هيو" في ذلك الهجوم، وخص الجريجوريين بلومه؛ موجّهًا سهامه إلى البابا جريجوري السابع شيخ هؤلاء، مُبيّنًا أن أفكاره جلبت الخراب على المسيحيين، وفرّقت كلمتهم، فقال: "**يُلامُ جريجوري الذي أبى رسامته بموافقة الإمبراطور وإذنه، الأمر الذي أدّى إلى خلاف، انتهى بمقتل المسيحيين يوميًا، ودُنست الأماكن المُقدّسة، وسُفكت فيها الدّماء، وطُرد المسيحيون من بيوتهم، وأتت النار المستعرة على القصور والأحياء والقرى**[٢].

وحين بيّن الكاتب النورماندي خطأ تفسير الجريجوريين لنظرية البابا جيلازيوس عن سُلطة السيفين[٣]، يقول: "**يُمكن القول إن السيف الذي وضعه الرب في يد الملك ليس للقتل وإراقة**

Body of the King in Kantorowicz`s the King`s two Bodies", in *The Body of the King*, Padova, 2016, pp. 1- 23 esp. pp. 20- 21.

(١) *Tractatus Eboracenses*, trac. 5- 6, pp. 684- 685; Norman Anonymous, p. 726- 727.

(٢) يُلمح "هيو" إلى هجمة نورمانديي جنوب إيطاليا على مدينة روما في صيف سنة ١٠٨٤م. وكانوا تحت قيادة روبرت جويسكارد الذي استدعاه البابا جريجوري السابع، لإنقاذه من حصار جيش هنري الرابع. وقد اقتحم جويسكارد روما على رأس ثلاثين ألف مقاتل، ومكث فيها أيامًا يُخرّب وينهب، مما جعل بعض الكُتّاب يشبهونه بألاريك القوطي، الذي غزا روما سنة ٤١٠م. راجع التفاصيل في:

Lupus Protospatarius, *Chronicon*, P. L, vol. 155, ed. Migne, p. 140; Geoffrey Malaterra, *The Deeds of Count Roger of Calabria and Sicily and of his Brother Duke Robert Guiscard*, trans. K. Wolf, University of Michigan Press, 2005, pp. 166- 168; Ordric Vital, *Histoire de Normandie*, 4 vols, trad. M. Guizot, Paris, 1825, vol. 3, liv. 7, pp. 152 – 154. وقد كال مجهولا هيرسفيلد ونورمانديا اتهامات مماثلة إلى البابا جريجوري. راجع: *Liber de unitate ecclesiae conservanda*, pp. 2, 7- 10; *Tractatus Eboracenses*, trac. 5- 6, pp. 686- 687; Norman Anonymous, p. 727- 728

(٣) اعتمد الجريجوريون على مجموعة وثائق مزيفة نسبت إلى إيزيدور الأشبيلي Pseudo-Isidorian، صيغت في منتصف القرن التاسع الميلادي، وقد شوهت المراد الحقيقي من سيفي البابا جيلازيوس. انظر: Tellenbach, *The Church in Western Europe*, pp. 22- 25.

الدماء، وإنما للتخويف والترهيب سعيًا إلى حماية الكنيسة. فحريٌ بمنصبه أن يكون ساميًا مجيدًا، إذ منحه إياه الرب، ليسمو فوق سائر الخلائق... وحقيق أن يُخوله المسيح لفرض سلطانه على أساقفة مملكته، ولذلك كل عائب للسلطة الملكية إنّما ينتقص مشيئة الرب وإرادته. إذ المعلوم أنّ الملك والأسقف يتلقيان المسحة الكنسية نفسها، ولكن الملوك وحدهم من أوكلت إليهم امتيازات السلطة الإلهية، ليحكموا مع المسيح شعب الرب وكنيسته[١]. أيّد "هيو" رأيه، مُعلنًا: **"أن كل سلطة مصدرها الله، الذي اعتمد في كنيسته المقدّسة السلطتين: الملكية والكهنوتية. وهاتان السلطتان، اتّخذهما الله في ذاته، ليجعل بينهما الإخوة، ويعقد بينهما رباط المحبة، ويخلق منهما وحدة وثيقة. هاتان السلطتان بحاجة للتعاون، الواحدة مع الأخرى، وتحرص كل منهما على حماية الأخرى، فإن لم تتّفقا يضطرب جسد المسيحية... إذ هما سلطتا الرب إله الجميع، وركيزتا كنيسته، وقد أنابهما في التصرّف عنه بين شعبه"**[٢].

يتّضح أن معالجة مجهول نورمانديا قد تركت عظيم الأثر على كاتبنا هيو الفلوري؛ جزم بذلك جوزيف كاننج Canning[٣]، وأكّده أيضًا إرنست كانتوروفيتش Kantorowicz بقوله: "إن أفكار هذه الدراسة تتلاقى مع مُعالجة "هيو" الفلوري لقضية السمو الملكي"[٤]. ولا يُنكر الباحث أن ميراث هذا الكاتب وغيره من مفكري القرن الحادي عشر كان نبعًا لاهوتيًّا قانونيًّا فيّاضًا، قد غذّى الفكر السياسي واللاهوتي عند هيو الفلوري، ولكنّه بمزيد من دراسة أفكاره والعناية بها يتبيّن أن هيو لم يكتفِ بهؤلاء، بل وعاد القهقرى إلى كتابات آباء الكنيسة الطوباويين، وطرح تفسيراته الخاصة لأقوالهم، فأمكنه أن ينسج من خلالهم جميعًا خيوط نظريته عن السمو الملكي.

نظرية "هيو" الفلوري عن السمو الملكي:

من دراسة أفكار "هيو" يُمكن القول إن نظريته عن السمو الملكي تقوم سياسيًا ولاهوتيًا على ستة محاور، شملت كل بُؤر الخلاف بين الجريجوريين والملكيين، تُفصّلُ على النحو التالي:

المحور الأول: رفض "هيو" دعوة الجرجوريين إلى الفصل بين سلطتي الكنيسة والملك، ركيزتي المجتمع المسيحي، واعتبر أن ذلك بمثابة خلل في وحدة الدولة، ومردوده – لا محالة– كان سلبيًا

(١) *Tractatus Eboracenses*, trac. 5- 6, pp. 686- 687; Norman Anonymous, p. 727- 728.

(٢) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, pp. 483, 485.

(٣) Canning, *A History of Medieval Political Thought 300- 1450*, p. 106.

(٤) Kantorowicz, *The King's Two Bodies*, p. 56. n. 30.

على انسجام المجتمع المسيحي ووحدة لحمته، فأعلن: "**يتّضح خطأ الذين يفصلون بين الكرامة الكهنوتية والجلالة الملكية، ساعين بلا خوف إلى إفساد النظام الإلهي، مُدّعين معرفة ما يجهلون**[١].

المحور الثاني: اعتبر "هيو" أن الكنيسة بجهازها الوظيفي هي جزء من كيان الدولة، وبالتالي أوجب خضوعها للملك رأس هذا الكيان. يقول: "**من حق الملك أن يُخضع لحكمه جميع أساقفة مملكته، كما يخضع المسيح لله، ليس بالطبيعة، بل بالرتبة، على مثال خضوع الابن لوالده، حيث أن المملكة تتبع مصدرًا واحدًا، ويجب أن تخضع بأسرها إلى سلطة واحدة**"[٢]. وأنكر على الكنيسة تدخلها في القضايا الزمنية التي من شأنها أن تفسد رجال الدين[٣]. كما عهد "هيو" إلى الملوك بخصالٍ، تُؤهلهم للسمو والسيادة على الدولة، يقول: "**يتميّز الملك بأربع فضائل هامّة، هي: القناعة، والعدالة، والحكمة، والعفّة. وهو يحرص- فوق ذلك- على تسييس الرعية، بالوعد والوعيد، بالحسنى والتأديب، وبالأعمال الصالحة، وليُصغ إلى نصائح الأساقفة، بذلك يُدعّم أسس مملكة متينة راسخة**"[٤].

وحين بحث "هيو" عمن تتوفر فيه هذه الصفات عثر على ضالّته في الملوك النورمانديين، فمدح وليام الفاتح قائلًا: "**ليس من ملك في زماننا يتجاوز وليام في القوة والحكمة. ولن يوفيه أحدٌ حقه في مديح عظمته وروعته التي بلغت شهرتها أقاصي الأرض. قليل من الملوك من يمكنه محاكاة وليام، أو يمكنه أن يحظى بجزالة صفات الكفاءة، أو روعة الشيم الأخلاقية التي حباه الله بها طيلة حياته الحافلة بالمجد**"[٥].

---

(١) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, p. 466.

(٢) Ibid, p. 490. يقتبس "هيو" من أمبروز المزعوم في القرن الرابع الميلادي. إذ يقول: "ما هو من الله يجب أن يعلو فوق كل السلطات الأرضية، وفوق كل القوى الروحية". *quod enim de deo est, super omnes potestates et principatus et simul super omnes potentias espiritus dicitur, cum constet omnisa dei esse*. انظر: Pseudo- Ambrosius (Augustini), Quaestiones veteris et novi testament CXXVII, ed. A. Souter, in *Corpus Scriptorum Ecclesiasticorum Latinorum*, vol. 50, London & New York, 1908, Quaest 106: 9.
ويرى إيف ساسييه أن "هيو" أراد إخضاع الأساقفة للترتيب الهرمي في السلطة الملكية. انظر:
Les premiers chapitres, p. 126.

(٣) See: *Liber de unitate ecclesiae conservanda*, p. 2; Norm. Anonymous, p. 726- 727.

(٤) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*,, pp. 466, 474.

(٥) Hugues de Fleury, Chronique, p. 62.

المحور الثالث: ارتقى "هيو" بمنزلة الملوك، مؤكّدًا أنّهم ولو بلغوا أدنى درجات السوء ليس منبعهم الشيطان كما يرى الجريجوريون، وإنما العناية الإلهية. وقد فنّد رؤيتهم بدونية السلطة الملكية بقوله: "**هم يرون أن السلطة الملكية الأرضية ليست من الله، بل هي من ترتيب البشر، ولذلك يُعلون الكرامة الكهنوتية فوق المنزلة الملكية، ويُوجبون خضوع الأخيرة للأولى. إن هؤلاء إذ انتهكوا النظام الإلهي السائد جدير بهم أن يكونوا من الفريسيين**"(١).

المحور الرابع: استنكر "هيو" القاعدة التي فرضها الجريجوريون ورجال الدين الراديكاليون الداعية إلى تنزيه الأساقفة عن الخطأ، وعدم محاكمتهم إلا أمام السلطة الدينية، وأباح للملك نقد الأساقفة وتقييم سلوكهم. يقول: "**على الملك أن يُكرّم رجل الدين إكرامًا دينيًا، وأن يُكلّف الأساقفة برعاية النفوس. وقد اتّبع هذه القاعدة الحكيمة سائر الملوك والسلطات المسيحية، عند ترقيتهم الأنسب من رجال الدين**". وفي المُقابل وضع قيودًا على السُلطة الكنسية، رافضًا عصمة رجالها من الخطأ، وأباح للملوك منعهم إذا كانوا خطاة من اعتلاء المناصب الدينية، وفي ذلك منح "هيو" للملوك يدًا أطول وامتيازًا عن السلطة الدينية. ثم ينتقل "هيو" إلى توصيف السلطة الكهنوتية، وتحديد إطاراتها بناء على صفات يوجب توفرها في رجال الدين، ويحدد على أساسها مسافات قربهم أو بعدهم من السلطة الملكية، **يقول: "وعن كرامة الأسقف، فقد أعطاه المسيح سلطان فتح أبواب الملكوت وإغلاقها، الأمر الذي يسري على الجميع، من أكبر الملوك إلى أصغر أمير. على أنّ الأساقفة هم بمثابة ملح الطعام، حسب قول المسيح "أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ، وَلكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُمَلَّحُ؟ لاَ يَصْلُحُ بَعْدُ لِشَيْءٍ، إِلاَّ لأَنْ يُطْرَحَ خَارِجًا وَيُدَاسَ مِنَ النَّاس**(٢)". ولكن الأسقف يجب أن يتحلّى بصفات أوردها "هيو" على النحو التالي: "**يجب أن يُختبر أولًا، إن كان بلا لوم، غير مدمن الخمر، ولا ضرّاب، ولا طامع بالربح القبيح، بل حليمًا غير مخاصم ولا محب للمال**(٣). **ولا ينبغي أن يعتدي على السُلطة المدنية، مستغلًا حاجتها إلى سلطته الروحية، إذ هو بمثابة الراعي مع قطيعه، يسهر على رعايته بالصلوات والخدمة.**

---

(١) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, p. 466.

هنا يتصدى هيو الفلوري لأفكار الجريجوريين، الذين بنوها على خطاب جريجوري بدونية المنصب الملكي.

(٢) انظر: متى ٥: ١٣.

(٣) "يجب أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج لئلا يسقط في تعيير وفخ إبليس". انظر: رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٣: ١- ١٠. وأيضًا: أوغسطين، الحياة المسيحية، ٣٦- ٣٧.

وبالجملة يشمل واجبه رعاية الجميع، علمانيين ورجال دين"[١]. بالمُقابل يشتدُّ "هيو" على الأساقفة المُخالفين لهذه الشروط، فيتّهمهم بالادعاء والجهل، يقول: **"إنّ هؤلاء يدّعون أنّهم كهنة، وأنّهم من معلّمي الشريعة الإلهية، فيما لا يفقهون شيئًا من العلوم الدينية، هم ليسوا أساقفة... وسلوكهم الشائن لمّما يُسبّب تشويه الاسم المسيحي والديانة المسيحية، تمثّلًا بقوله "وَلاَ تَحْلِفُوا بِاسْمِي لِلْكَذِبِ، فَتُدَنِّسَ اسْمَ إِلهِكَ. أَنَا الرَّبُّ"**[٢].

المحور الخامس: رفض "هيو" خضوع الملك للسلطة الدينية، ورفض أن يُحاكم أمام الأساقفة أو حتى أمام رعيته، وترك مصيره إلى المشيئة الإلهية. فهو يُصرُّ على تأكيد المكانة الثيولوجية للملوك، ويُحذر من امتهان منزلتهم التي لا ينقص منها أنّهم قد ينحرفوا عن جادة الصواب بسبب أفعال مستشاريهم غير الأكفاء، يقول: **"لا ينبغي أن يُمتهن الملوك الشرعيون بسبب الفاسدين، فإن رئاسات البلاط السماوي المقدّس لم يمتهنها الله ولم يرذلها حين كان إبليس رئيسها، واستولى عليه الطغيان والغرور، وقاداه إلى الخطيئة..."**[٣]. ودون ذلك يترك "هيو" بابًا واحدًا للأساقفة لانتقاد الملك وإدانته، وهو: **"أن يكون هرطوقًا، فحينئذ يجب – لخلاصه– أن يُصغي إلى نصائح الأساقفة، عملًا بقول الرسول: "اَلرَّجُلُ الْمُبْتَدِعُ بَعْدَ الإِنْذَارِ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ، أَعْرِضْ عَنْهُ. عَالِمًا أَنَّ مِثْلَ هذَا قَدِ انْحَرَفَ، وَهُوَ يُخْطِئُ مَحْكُومًا عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ"**[٤].

والحقيقة أنّ "هيو" في هذه الناحية يتصدّى لخطاب البابا جريجوري السابع، الذي وجّهه إلى مجلس كنسي عُقِد بروما في مارس عام ١٠٨٠م، وطفق يؤكّد فيه على سمو منزلة رجال

---

(١) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, pp. 477- 478; See: Norman Anonymous, pp. 727- 728.

(٢) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate*, p. 479- 482 وانظر: سفر اللاويين ١٩: ١٢.

(٣) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, p. 475.

(٤) يرجع "هيو" إلى قول "أوغسطين" إن الله شاء أن يكون إبليس الذي خرج صالحًا من يد الله أن يكون شريرًا بإرادته الذاتية، وأن تجارب الشر التي يزرعها تحت أقدام الأساقفة إنما تعود بالخير عليهم: مدينة الله، ٢/ ١١: ١٧. Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, p. 476، وانظر: رسالة بولس الرسول إلى تيطس (٣: ١٠، ١١). وقد أفاد "هيو" من قول جريجوري الكبير: "يجب على الرعايا ألّا تُحاكم ملوكها، وألّا يُقيموا سلوكهم بتهور، وأن يحرصوا على عدم الإساءة إليهم، لأن الله يفحص أعمال الملوك في ذاته...". راجع: *The Books of Morals*, 25: 16.

الدين[١]. فتصدّى له "هيو" متغنيًّا بالملوك الأتقياء، ومشيدًا بالأباطرة الذين أفادوا الكنيسة الغربية بجهودهم، سواء التعميرية التي ظهر أثرها في الأبنية الكنسية الفخمة وفي الأديرة ذات الأملاك العريضة، أو جهودهم الحربية التي أبعدت عن الكنيسة خطر أعدائها. وأضاف قوله: "**لقد رفعوا من شأن الكنيسة قدر استطاعتهم، فترعرعت بعنايتهم ومجهودهم**"[٢]. وهذا يُظهر حرصه على إبراز مكانة السلطة الملكية والتأكيد على سموها.

ويتمسّك "هيو" بواجبات الملوك، ويتصدّى للجريجوريين الذين أوكلوا هذه الواجبات إلى الأساقفة[٣]، فأقبل يُعدّد التزامات الملك على النحو التالي: "**إن واجب الملك الشرعي سياسة الشعب بالعدالة والمساواة، والدفاع عن الكنيسة المُقدّسة بكل قواه. كما عليه أن يحمي الأيتام، ويُدافع عن الأرامل، ويُساعد الفقراء. وعليه أن يُزيين مملكته بالكنائس الفخمة، وتوسيعها والحفاظ فيها على عبادة الرب على أكمل وجه، وذلك على مثال الإمبراطور قنسطنطين الورع، وكما عهدنا من غيره من سائر ملوك الأزمنة الغابرة**[٤].

المحور السادس: أنكر "هيو" على السلطة الدينية رفضها تدخل الملك في التعيينات الكنسية، مؤكّدًا أن ذلك يقع ضمن اختصاصاته، لأن الكنيسة تستظل بحمايته. ولا شك أن قضية تدخل الملك في التعيينات الأسقفية قد شغلت نصيبًا من تفكير "هيو"، فأعلن: "**مما يؤسف له أنّ أحدٌ لم يُعالج هذه الأمور كما ينبغي، ويفحصها بدقة ويُصدر حكمًا عادلًا بشأنها. وأمّا رجال الدين وعموم الناس فأخذتهم الحيرة. ولا يُلام هنا غير المرسوم الكنسي القائل: أن أي أسقف لا يقبل**

---

(١) جاء في هذا الخطاب: "أرجو أن تعلموا أيّها الآباء والأمراء المقدسون أنّه إذا كانت لديكم القدرة أن تحلوا أو تربطوا في دار البقاء، فإن لكم القوة على الأرض كي تمنعوا أو تمنحوا إمبراطوريات وممالك ومقاطعات بل وجميع متاع الناس، كل حسب استحقاقه... دعوا الملوك والأمراء يعرفون مقدار عظمتكم ومبلغ ما تملكون من قوة، دعوا هؤلاء الرجال الضعفاء يخشون الخروج على أوامر كنيستكم". راجع:
Monumenta Gregoriana: Gregorii VII registrum, ed. Jaffé, Berlin, 1865, 7. p. 404.
ويرى أوغسطين فليش أن البابا جريجوري السابع لم يُفكّرُ في تجاوز نطاق الصراع السياسي بينه وبين السلطة العلمانية، ماثلة في الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ولكن أنصار منهجه الراديكالي عمّموا أفكاره على سائر الدوائر السياسية والعلمانية في غرب أوربا، وحافظوا عليها إلى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي. راجع:
Fliche, *La réforme grégorienne*, 3 vols., esp. vol. 3.

(٢) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, pp. 483- 484.

(٣) أسبغ برنار كليرفو على البابا إيوجينيوس الثالث واجبات الملوك وصفاتهم. انظر:
St. Bernard, *On Consideration*, 4. 7. 23; Idem, *Epistolae*, vol. 2, no. 256.

(٤) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, p. 473.

التولية من يد الملك أو الإمبراطور(١)، رغم أن رجال من قبل ترسموا أساقفة على أيدي الملوك، وما كانوا ليقبلوا لو رأوا إثمًا فيه"(٢).

ورغم تأييد "هيو" للسلطة الملكية، غير أنّه تعامل مع مسألة التدخل العلماني في التعيينات الكنسية بشيء من الدبلوماسية. والواضح أنّه كان يكتب وهو خاضع لضغط شديد من جرّاء الأزمة التي أثيرت في انجلترا بواكير القرن الثاني عشر الميلادي حول التدخل الملكي في شؤون الكنيسة، وأثارت جدلًا سياسيًا ودينيًا وقانونيًا واسعًا. وعليه قضى بعدم تدخل الملك في مراسم انتخاب الأسقف أو الاعتراض على شخصه إذا كان كفؤًا. يقول: "**إذا تم انتخاب الأسقف من قِبل الإكليروس والشعب وفق النظام الكنسي، فلا ينبغي للملك أن يُمارس أي ضغط أو طغيان على الناخبين، بمقتضى احترامه للسلطة الدينية. وبعد إتمام عملية الانتخاب، يمنحه الملك الملابس الرسمية الملائمة للوظيفة، ويترك لرئيس الأساقفة تقليده بالخاتم والعصا. ولكن في حالة كان المُرشح جديرًا باللوم، فعندئذ يرفض الملك والجمهور انتخابه، وحريٌ بهم أن يُشهّروا به علنًا، ويُعلنوا على الملأ سمعته السيئة**"(٣). وجعل موجبات لوم الأسقف كالتالي: "**يُعدُّ رجل الدين صالحًا إذا ما خلا خلّوًا تامًّا من حب المال، ولا تعرّض للوم والازدراء لأخلاقه السيئة وسيرته الشائنة(٤).**

والحقيقة أن رفض "هيو" أن يمنح الملك للأسقف المنتخب الشعارات الدّالة على التبعية الإقطاعية للسلطة الزمنية *regalia*، أمر يُثير الحيرة. وقد ارتاب المؤرخ الشهير نورمان كانتور Cantor في نية "هيو"، هل هو يحفظ منزلة السلطة الملكية أم يمتهنها؟ وتوصل من دراسته

---

(١) يُشير "هيو" إلى ما ورد في الإملاء البابوي لجريجوري السابع ١٠٧٤م، عن كفّ أيدي العلمانيين عن التدخل في الوظائف الدينية، وحظر محاكمة رجال الدين أمام محاكم علمانية. انظر:

Selected Historical Documents of the Middle Ages, pp. 366- 367;

أيضًا: قاسم، الحملة الصليبية الأولى: نصوص ووثائق تاريخية، ص ٥١- ٥٢. وللمزيد راجع:

Abels, Richard, "The Gregorian Reform, Investiture Controversy, and the Growth of Papal Supremacy, 1049- 1159" (2016). *http:// www. usna. edu/ Users/history/ abels/hh315/investiture%20controversy.htm.*

(٢) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, p. 490.

يُشير هيو إلى أن البابوات حتى رسامة البابا نيقولاس الثاني كانوا يُعينون من قبل الأباطرة. انظر:

Ibid, pp. 488- 490.

(٣) Hugonis, *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, p. 472.

(٤) Ibid, pp. 477- 478.

لهذه الناحية أنّ "هيو" ربما أُشكل عليه الأمر، فاكتفى بحث الأساقفة على تقديم يمين الطاعة Homage إلى الملك، وترك إلى رئيس الأساقفة صلاحية منحهم رموز الإقطاعية والتبعية الفصلية *Fidelitas* أي العصا والخاتم. كما لم يستبعد كانتور أن "هيو" أراد أن يُقدّم حلًّا توافقيًا لمشكلة التدخل العلماني في تنصيب الأساقفة التي كانت سببًا في الخلاف بين الملك هنري الأول وأنسلم أسقف كانتربري، وتم حسمها في اتفاق سنة ١١٠٧م(١).

ولا ريب أنّ إشكالية تقليد الملك للمنصب الأسقفي تتداخل تداخلًا شديدًا مع قضية أسبقية السمو بين الملك والكاهن، وقد سبق إلى نقاشها "فيدو" أسقف فيرارا Wido of Ferrara واضعًا أطروحة حوالي عام ١٠٨٦م للرد على دعاوى الجريجوريين، الذين تطرّفوا في نظرتهم الهيروقراطية فأنكروا نهائيًا على السلطة الملكية التدخل في الوظائف الدينية، سواء بالتعيين أو الانتخاب أو حتى الاقتراب من أملاك هذه الوظائف، والتي كانت عادة أملاك واسعة، تفرّقت بين بيوت ومزارع وعقارات وحقول(٢). ولم ير "فيدو" غضاضة في أن يُقرّ الإمبراطور تعيين البابا، أو أن يُعين الملوك الأساقفة، لأن الإمبراطور والملوك هم نواب الرب(٣). وأعلن أنّ الأسقف يحمل في وظيفته شقين: روحاني ديني وهو ما يتعلّق بمنصبه الرعوي، وزمني دنيوي وهو ما يُوفره له الملك. فإذا أطاع الملك وأظهر ولائه الفصلي الإقطاعي وجب أن يتلقى الشعارات العلمانية من السلطة الملكية، وأما إذا أبى فمن حق الملك تجريد المنصب الأسقفي من أملاكه الدنيوية، التي

---

(١) Cantor, *Church, Kingship and Lay Investiture in England*, pp. 232- 233.

(٢) Ullmann, Walter, *The Growth of Papal Government in the Middle Ages*, London: Methuen, 1965, p. 408. لا نعرف الكثير عن فيدو (جيدو). ويبدو من مقالته أنّه كان منحازًا للحزب الإمبراطوري، كارهًا للباب جريجوري السابع وبرنامجه الإصلاحي. يعتقد "فلمانس" أنّه اشترى مقعده الأسقفي في فيرارا – شمال شرق إيطاليا– بالمال. ولكنه فقده عام ١١٠١م إثر سقوط المدينة في يد ماتيلدا التوسكانية، وهي كما هو معلوم الحليفة الصدوق للجريجوريين. وعن معالجته فالأرجح أن فيدو صاغها بناء على توجيه البابا الإمبراطوري كلمنت (ت ١١٠٠م). كما يبدو أنّه فرغ منها في ربيع ١٠٨٦م عقب وفاة جريجوري وقبيل بابوية فيكتور الثالث، إذ لم يُشر إطلاقًا إلى الأخير. وقد تصدّى في بعض فقراته لـ أنسلم اللوقي، نصير الحزب الإصلاحي، كما استند في الكثير من حججه على نصوص الآباء الطوباويين. Wido Episcopus Ferrariensis, *De Scismate Hildebrandi*, ed. R. Wilmans, "Libelli de lite imperatorum et Pontificum: Saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 1, Hannover, 1891, intro. pp. 529- 530; Ullmann, *Growth of Papal* Government, p. 408 n. 2.

(٣) Wido, *De Scismate Hildebrandi*, pp. 563- 564.

هي حق أصيل للملك، وبالتالي يفقد المنصب الأسقفي جانبه الزمني[١]. من هذا كان فيدو الفيراري هو أول من نادى بالفصل بين الجانبين الروحي والزمني في شخص الأسقف، حافظًا للملك حقوقه العلمانية على الكنيسة[٢]. وقد تناول إرنست كانتوروفيتش Kantorowicz هذا الطرح بمهارة، فأعلن عن خطأ ازدواجية الروحانيات والزمنيات في شخص الأسقف، مؤكّدًا أن قانونيين عظماء مثل إيفو الشارتري قد نظّروا لذلك[٣].

وقد جاءت مساهمة إيفو الشارتري في رسالة وجّهها عام ١٠٩٧م إلى هيو رئيس أساقفة ليون Hugh of Lyon حيث أكّد أن التدخل الملكي لا يتعلق بالجانب الروحاني في وظيفة رجل الدين، بل بالأملاك الدنيوية التي منحه إياها[٤]. وبتأثير هذا الطرح المُعتدل تخلّت السلطة الملكية في فرنسا عن تعيين رجال الدين، ولكنها تمسّكت بحق تداول الأملاك الدنيوية بين المقاعد الكنسية، ومطالبة شاغليها بالولاء[٥]. وهذه النتيجة – كما نُلاحظ– هي التي تبنّاها "هيو الفلوري" في أطروحته، إذ كان تلميذًا لأفكار إيفو الشارتري.

كما تناول القضية نفسها الراهب والكاتب الملكي المُعاصر سيجبرت الجمبلوي Sigebert of Gembloux في خطابٍ رفعه حوالي ١١٠٣م إلى البابا باسكال الثاني (١٠٩٩– ١١١٨م)، حيث نقم على الجريجوريين ازدرائهم السلطة الملكية[٦]. وأكّد بوصفه قانونيًا على وجوب تقديم

---

(١) Wido, *De Scismate Hildebrandi*, pp. 564- 565. See En. trans: On Hildebrand's Schism, For and Against Him by Bishop Guido of Ferrara, Book 2. http:// legalhistorysources.com/ Canon%20 Law/ Gregorian Reform/ Peter Crassus.

(٢) Ullmann, *The Growth of Papal Government in the Middle Ages*, p. 408.

(٣) Kantorowicz, *The King's Two Bodies*, p. 44.

(٤) Ivonis episcopi carnotensis, *Epistolae ad litem investiturarum spectantes*, ed. E. Sackur, "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 2, Hannover, 1892, pp. 644- 647. Also: Rolker, *Canon Law and the Letters of Ivo of Chartres*, p. 2.

(٥) Canning, *A History of Medieval Political Thought 300- 1450*, p. 106.

(٦) Sigeberti monachi Gemblacensis, *Leodicensium epistola adversus Paschalem papam*, ed. E. Sackur, "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 2, Hannover, 1892, p. 457.

وُلد سيجبرت عام ١٠٢٦م في مدينة ليج Liege البلجيكية، بين نهري ميز Meuse وديل Dyle. تلقّى تعليمًا جيدًا في الأدب الكلاسيكي، والعلوم الكنسية، والفنون السبعة الحرة. وهذا يظهر جليًا من أسلوبه وسلامة عرضه في الكتابة. وقد تابع دراساته في دير جمبلو، وهو دير بندكتي احتل مكانة ثقافية وفكرية كبيرة في القرن الحادي عشر الميلادي. عمل معلّمًا للأطفال بكنيسة سان فنسنت بمدينة ميتز Metz. ثم رجع إلى دير جمبلو بين سنتي

الأساقفة للإمبراطور قسمًا فصليًا، في مُقابل حصولهم على الشعارات الإقطاعية *regalia*(١). ورغم أن نورمان كانتور Cantor يتّهم سيجبرت بعدم تقديم براهين قاطعة تُؤيد وجهة نظره، ويجزم أن رسالته لم تصل إلى إنجلترا ولم يكُن لها تأثير على الصراع الكنسي العلماني هناك(٢)، غير أنّ شيوع مثل هذه المُعالجات كانت بلا شك دُعامات رئيسة لرؤية "هيو" عن الموضوع ذاته، وتداخله مع نظريته عن السمو المَلَكي(٣).

بهذه المحاور حاول "هيو" أن يُعالج القضايا الخلافية التي شغلت سنوات النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي بين الملكيين والجريجوريين، وسعى إلى إرساء سمو الملكية، مستندًا على كتابات آباء الكنيسة تارة، وآراء مفكري القرن الحادي عشر تارة أخرى. وقد اختلف

١٠٧٠– ١٠٧١م حيث أنفق وقته – بنشاط محموم– في التعليم والكتابة والنسخ، كما أنّه أشرف على مكتبة الدير العامرة بمئات المخطوطات. وحين اندلع نزاع التقليد العلماني بين جريجوري السابع وهنري الرابع أعلن مناصرته للإمبراطور، وتصدّى لدعاوى الإصلاحيين، واثبت كفاءته الجدالية. وقد أبدى في رسالته إلى البابا باسكال الثاني انزعاجه من راديكالية الجريجوريين، وأعلن في سخرية مريرة: "هذا هو مصدر آلامنا، وبسببه تتضاعف مصائبنا: إن الشيطان الذي أُطلق له العنان يجوب الأرض ويوقع بين السلطة الملكية والكهنوت". وقد ترك سيجبرت – إضافة إلى رسالته– عدة مؤلفات، أهمها: حولية تاريخ العالم، وسيرتين تاريخيتين: واحدة للملك الميروفنجي سيجبرت الثالث (ت ٦٥٦م)، والثانية لـ ثيودريك أسقف ميز (ت ٩٨٥م)، كما ترك قصيدة شعرية عن استشهاد القديسة لوسي (ت ٣٠٤م). وله بعض السير الهجيوجرافية الأخرى. توفي عام ١١١٢م. راجع:
Sigeberti, *Leodicensium epistola adversus Paschalem*, intro.; Chazan, Mireille, Sigebert de Gembloux est-il français? *Mémoires de L'académie Nationale De Metz* 11- 12, (2012), pp. 85- 99.

(١) Sigeberti, *Leodicensium epistola adversus Paschalem*, pp. 458- 459. Also: Robinson, *Authority and Resistance in the Investiture Contest*, pp. 177- 179.

(٢) Cantor, *Church, Kingship and Lay Investiture in England*, pp. 233- 234.

(٣) مما لا ريب فيه أن النزاع الكنسي العلماني في إنجلترا كان له أبلغ الأثر في نفس كاتبنا "هيو" حيث كان مُعاصرًا له. وقد برز في هذا النزاع أنسلم أسقف كانتربري Anselm of Canterbury (ت ١١٠٩م) الذي تمسّك بالفكر الجريجوري حيال السلطة الملكية وتدخلها في الشؤون الدينية. وتعكس لنا خطاباته بين عامي ١١٠٢– ١١٠٦م مدى تشدده في هذه الناحية. فبعث إلى ملك إنجلترا هنري الأول يُحذّره من محاكمة الأساقفة في مملكته، لأنّهم لا يُحاكمون إلا أمام المحاكم الكنسية. وأنّ الأباطرة والملوك مُحرّم عليهم التدخل في شؤون الكنيسة. وأكّد أن الأساقفة وعلى رأسهم البابا يُنَصبون وفق القانون الكنسي بإرادة الله. وأن أعداء الكنيسة ليسوا إلا أبناء الشيطان، مُلمحًا إلى دونية السلطة الملكية. للتفاصيل انظر:
The letters of Saint Anselm of Canterbury, trans. W. Fröhlich, 3 vols. Kalamazoo & Michigan, 1990- 1994, no. 214, 222, 224, 281, 282, 305, 348, 351, 378, 391. وعن حياة أنسلم وفكره ومؤلفاته، راجع: Ibid, intro; Eadmer de Cantorbéry, *Histoire d'Angleterre et vie de St. Anselme*, trad. H. Rochais, Paris, 1994, pp. 249- 374.

المؤرخون الحديثون في تقييماتهم لنظريته عن السمو الملكي؛ ففي الوقت الذي لا يقف أوغسطين فليش Fliche كثيرًا عند معالجة "هيو"، ويصف صاحبها بالمُجادل(١)، يبسط نورمان كانتور Cantor لها الحديث بقوله: "إن "هيو" كان كلونيًا مُعتدلًا، رفض الطابع الراديكالي الذي أبداه الجريجوريون حيال السلطة الملكية، وخالف النظرية السياسية التي أقامها آباء الكنيسة في بواكير العصور الوسطى. واقتنع أن سمو السلطة الملكية على الكنيسة كان لخير المجتمع والكنيسة ذاتها"(٢). ومع هذا يُؤكّد كانتور أن مقالة "هيو" لم يكن لها أثر ملموس سواء في نورماندیا أو في إنجلترا، ولم يُشر إليها أي من المعاصرين. ورغم أن كاتبها وجّهها إلى الملك هنري غير أن أحدٌ من رجال بلاطه لم يفد منها في صياغة بنود اتفاق ١١٠٧م. والواضح أن ثورية أفكار "هيو" قد أزعجت أعضاء البلاط، فقرروا أن يتصرّفوا مع السلطة الدينية بحرص أكبر وبطريقة عملية"(٣).

وتُخالف جوديث جرين Green قليلًا تحليل "كانتور"، مؤكّدةً أنّ "هيو" طوّر المفهوم التقليدي للعلاقة الملكية الكنسية، وطرح أفكارًا تتماشى مع الحلول الوسطية التي شهدتها مائدة المفاوضات عام ١١٠٧م بين الملك هنري الأول وخصومه الكنسيين، بشأن تدخل الملك في الوظائف الكنسية(٤). ويُساير بيير بودوان Bauduin هذا الرأي، موضحًا أنّ "هيو" أطلّ على القرن الثاني عشر بأطروحته في وقت كانت العلاقات بين السلطتين الملكية والكنسية تشتعل خلافًا، فحاول تقديم مُعالجة مُعتدلة، اقتداءً بمُعلّمه إيفو الشارتري(٥).

ورُبّما يختم الجدل بين هؤلاء ما قاله إيف ساسييه Sassier "أن "هيو" كان يرغب في إعلاء السلطة الملكية، وهذه الرغبة جاءت من تأويله للعديد من كتابات آباء الكنيسة، مثل: القديس أوغسطين وجريجوري الكبير وإيزيدور الأشبيلي... ويُؤكّد ساسييه أنّ مقالة "هيو" عن السلطة الملكية لم تأخذ حقها في الدراسة، وربّما تعمّد الكنسيون تجاهلها، وتمويه آرائه فيها بشكل منهجي طوال العقود اللاحقة. وللحق إن ظهور هذه المُعالجة في القرن الممتد بين ١٠٥٠-

---

(١) Fliche, *La réforme grégorienne*, vol. 1, p. 316.

(٢) Cantor, *Church, Kingship and Lay Investiture in England 1089- 1135*, p. 228.
كانتور، التاريخ الوسيط، ٢/ ٣٧١.

(٣) Cantor, *Church, Kingship and Lay Investiture in England 1089- 1135*, p. 228.

(٤) Green, Judith, *Henry I: King of England and Duke of Normandy*, Cambridge & New York: Cambridge University Press, 2006, pp. 91- 92.

(٥) Bauduin, Hugues de Fleury et l`histoire normande, pp. 161, 163.

١١٥٠م لهو أمر يستحق الإعجاب، إذ غلب على هذا القرن الجدال الحاد، والتلاعب والتزوير في المصطلحات، والمزاوجة في المُقتطفات، كلٌ يُجاهد لإثبات وجهة نظره، وبذلك كان يتم استخدام مؤلفات الآخرين بطرق خبيثة لفرض البراهين"(١).

هذا الرأي له وجاهته، ويُؤيّده الباحث تمامًا؛ لأن الأفكار اللاحقة التي ناقشت قضية أسبقية السيادة بين الكنيسة والملكية فهي إنّما صدرت بتأثير نظرية "هيو" الفلوري. وإن لم يُذكر اسمه صراحة على ألسنة اللاحقين، فهذا لا يعني تجاهل أفكاره التي كانت مع فكر الآخرين من مؤيدي الملكية بمثابة صرخات احتجاج على صعود الكنيسة وطغيانها الواضح في غرب أوربا القرن الثاني عشر الميلادي. وعليه يجب الإقرار بأن نظرية "هيو" قد أثارت الجدل بين مفكري هذا القرن ومُشرّعيه فأدلى كلٌ برأيه، متلمسًا طريقه بين واقع علماني محافظ، ومؤسسة كنسية ثورية.

واقع أفكار "هيو" الفلوري وأثرها على مُنظري السمو الملكي/ الكنسي في القرن الثاني عشر الميلادي:

كانت نظرية "هيو" عن السمو الملكي اللبنة الأخيرة في بنيان أقامه الملكيون في مواجهة الجريجوريين، الأمر الذي أثار في نفوس هؤلاء خصومة واضحة، فتصدّى له عدد منهم. وكان هونوريوس الأوتوني (الأوجسبرجي) Honorius of Autun (Augsburg) أبرز هؤلاء، فدوّن مقالته *Summa gloria* عام ١١٢٣م(٢)، ليرد بها على "هيو" وغيره من دُعاة السمو الملكي.

---

(١) Sassier, Les premiers chapitres, pp. 130- 132, 134.

(٢) لا نعرف الكثير عن هونوريوس سوى أنّه عاش في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي. ربما ولد سنة ١٠٩٠م، وهو يصف نفسه بأنّه كاهن ومعلم في أوتون البرجندية. ولكن التصقت باسمه أيضًا بلدة أوجسبرج Augsburg السوابية، مما جعل البعض يظن أنّه ألماني الأصل. قدّم كتاباته من منظور فلسفي لاهوتي، وكان أحد أشد أنصار السمو الكنسي. كان واسع الاطلاع متعدد المواهب، وله – فضلًا عن دراسته عاليه– عدة أعمال، مثل: الفلسفة العالمية، وضد الهراطقة *De Hæresibus*، وببليوغرافيا المؤلفين المسيحيين، *De luminaribus ecclesiae* والتي تنتهي بقائمة تضم واحد وعشرين عملاً من أعمال هونوريوس نفسه. وله *Clavis physicae* الذي هو شرح مختصر لكتاب الأيرلندي حنا سكوتوس إيريوجينا Eriugena المعنون بـ تقسيم الطبيعة *De divisione naturae*. توفي بعد ١١٥٦م. راجع:
Lebelli *Honorii Augustodunensis*, ed. L. Dieterich, "Libelli de lite imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 3, Hannover, 1897, intro. pp. 29-38 ff. Also: Sanford, Eva, Honorius, Presbyter and Scholasticus, *Speculum* 23: 3 (Jul., 1948), pp. 397- 425; Colish, Marcia, *Medieval Foundations of the Western Intellectual. Tradition, 400-1400*, New Haven & London: Yale University Press, 1997, p. 226.

وقد استهلّ هونوريوس مقالته بالتأكيد على أنّ الملوك منذ عهد موسى عليه السلام، كانوا يُتوجون بأيدي رجال الدين. ويرى أن المسيح عهد بالسلطة الكهنوتية إلى الكنيسة التي حرصت لاحقًا على إقامة السلطة الملكية لتحميها من أعدائها. ورغم أنّ "هونوريوس" ألمح إلى وجوب احترام السلطة الملكية، غير أنّه نحا نحوًا راديكاليًا حين أعلن أن المسيحيين قبل قنسطنطين الكبير لم يكن عليهم ملك، إلى أن تُوج هذا الأخير بمُباركة البابا. واتّخذ من هذا ذريعة للإعلان أن الأباطرة المسيحيين بعد قنسطنطين لم يُرخص لهم الحكم إلا بإذن أحبار روما، وعليه قطع بوجوب اختيار الملوك والأمراء وفق رأي البابا، وجعل من المُستحيل خضوع رجال الدين للسلطة الملكية، يقول: "**إن رجال الدين إذا تخلّوا عن الحق الذي منحهم إياه الرب، وأسلموا أنفسهم إلى أيدي العلمانيين، دعهم يعلموا أنّهم إنما يكونوا عبيدًا باعوا حرياتهم بثمن بخس. والحق كل الحق أن يخضع الشعب والملك لقانون الإكليروس، كما يتبع القمر الشمس، وكما يخضع الجسد للروح، وحين يسود قانون الكهنوت تستقيم حياة المسيحيين**"(١).

وعلى طريق هونوريوس سار بول البرنريدي Paul of Bernried الذي أكّد في مؤلّفه عن سيرة البابا جريجوري السابع عام ١١٢٨م على قوة السلطة السياسية للبابا(٢). ورفض مبدأ "هيو" الداعي إلى عدم محاكمة الملوك أمام الأساقفة، مؤكّدًا أن صلاحيات البابا فضلًا عن أساقفة الكنيسة تتيح لهم مراقبة أفعال الملوك، وتقويمها إن لزم الأمر. وقد استمدّ "بول" قوة حجته – كما صنع هونوريوس– من أعمال أنبياء العهد القديم، ووظفها جميعًا لسلطة البابا، الذي من واجباته:

---

(١) Honorii Augustodunensis, *Summa gloria*, pp. 63- 80.

(٢) يُعدُّ "بول" أحد الإصلاحيين الكنسيين البارزين في جنوبي ألمانيا. نستمد معلوماتنا عنه من كتابيه الشهيرين: حياة البابا جريجوري السابع، وحياة هرلوقة إبفاخ Herluca of Epfach الناشطة الجريجورية البارزة. يُرجّح أن أصوله ترجع إلى مدينة باساو Passau البافارية. ترسم كاهنًا في رجنسبرج Regensburg بين ١٠٩٢– ١١٢١م، وعُرَف عنه أنّه قائد الحزب الجريجوري في منطقة شرقي بافاريا. ونتيجة لذلك كرهه رجال الدين الإمبراطوريون، وضيقوا عليه، مما اضطره إلى الرحيل عن رجنسبرج، وقصد إلى برنريد البافارية في جنوب شرق ألمانيا. زار روما بين سنتي ١١٢٢– ١١٢٣م وأفاد منها في جمع المعلومات الضرورية لكتابه عن جريجوري السابع. جاءت وفاته بعد عام ١١٣٨م، حيث توقف عنده في كتاباته.
The Papal Reform of the Eleventh Century: Lives of Pope Leo IX and Pope Gregory VII, trans. I. Robinson, Manchester & New York: Manchester University Press, 2004, pp. 64- 82.

"**مُراقبة أفعال الأمراء العلمانيين، ومن صلاحياته توبيخهم، وعزلهم وتولية آخرين محلهم إذا لم يكونوا أكفاء** *Idoneus*"(١).

وعلى النهج نفسه سار هيو سان فيكتور Hugh of St. Victor(٢). وفي أطروحة ألّفها في ثلاثينيات القرن الثاني عشر الميلادي بعنوان *De sacramentis christianae fidei* طفق يُنّظر لسمو السلطة الكنسية على نظيرتها الملكية، ويجعل من الملوك والأمراء خاضعين لسيطرة الكنيسة، يقول: "**إن الملوك والأمراء يُمثّلون السلطة الأرضية أو الدنيوية، فهم كالجسد الفاني، أمّا البابا والأساقفة فيُمثلون السلطة الروحية أو السماوية، فهم جزء من خلود الروح. وبما أنّ الروح أجدر من الجسد، فإن السلطة الروحية يجب أن تعلو السلطة الأرضية شرفًا وكرامةً. بل وأن السلطة الروحية يجب أن تؤسس المملكة الأرضية، وأن تحكم عليها وتقوّمها إذا لم تلتزم النهج الصحيح**"(٣).

وينسجم هذا التوجّه أيضًا مع فكر برنار كليرفو Bernard of Clairvaux الذي سما بالكنيسة على الدولة، ورفع منزلة الكاهن فوق الملك. واعتبر أن انشغال الإنسان بالدنيا (المملكة الأرضية) ما هو إلا انشغال بالجسد الفاني، في حين أن سموه وفضائله يتأتيان مع توجهه الكامل إلى القضايا الروحية (الدينية)(٤).

---

(١) Paul of Bernried, Life of Pope Gregory VII, in *Ibid*, pp. 304- 306.

(٢) لا تتوفر معلومات كافية عن حياة هيو الباكرة. وُلد في الربع الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي، وتوفي عام ١١٤١م. ويظن البعض أن أصله سكسوني، ويرى آخرون أن أصله فلمنكي. كان لاهوتيًا بارزًا في مدرسة سان فيكتور الأوغسطينية – قرب باريس. تأثر بالمنحى الإنساني عند بطرس أبيلار، وحاول التقريب بين عقلانيات الأخير والتفاني الرهباني الشديد عند برنار كليرفو. يعود له الفضل في إنتاج أول ملخص رئيس للاهوت في العصور الوسطى *De Sacramentis Christiane Fidei*. وكان لـ برنار كليرفو تأثير طاغ عليه في ترسيخ فكرة السمو الكنسي. راجع:
Rorem, Paul, *Hugh of Saint Victor*, Oxford: Oxford University Press, 2009, pp. 9- 14; Van Nieuwenhove, Rik, *An Introduction to Medieval Theology*, Cambridge: Cambridge University Press, 2012, pp. 120- 136.

(٣) Hugh of St. Victor, *On the Sacraments of the Christian Faith*, trans. R. Deferrari, Cambridge & Massachusetts: The Medieval Academy of America, 1951, 2. 2. 4. Aussi: Sassier, Yves, "Hugues de Saint-Victor et la puissance terrestre, d'après le de sacramentis christianae fidei", *Revue Française d' Histoire des Idées Politiques* 1: 23 (2006), pp. 21- 34.

(٤) See the details in: St. Bernard of Clairvaux, On Loving God *http:/www.ccel.org/ccel/Bernard/Loving_God.html*. وبرنار (ت ١١٥٣م) أحد أعظم

ويطرح برنار فقهه الخاص في تفسير نصوص الكتاب المُقدّس، فيضع تفسيرًا مجازيًا لقصة الرسول بطرس وسيره على صفحة البحر(١)، ليُعلن ببساطة أن: "**البحر هو العالم، والسفن هي الكنائس**"، وأن: "**بطرس تفرّد دون بقية تلاميذ المسيح بالحبرية، وقد تأهل بذلك لأن يحكم العالم أجمع**"(٢). وبلغ برنار من الجرأة أن يُهدد الملوك بقوة الدين، كما يتّضح من خطاب رفعه إلى ملك فرنسا لويس السادس (السمين) سنة ١١٢٧م، حيث ذكّره بأن سلطانه إنما هو من الله، وديمومته إنّما هي برضى الكنيسة عليه، يقول: "**إن ملك السماء والأرض منحك مجرد مملكة أرضية، وسوف يحفظ لك واحدة في السماء إن أنت سرت في حكمك على طريق العدالة والحكمة...اعلم أنّنا لن نقدر على رفع أكفنا إلى المسيح لندعو لك، بينما أنت متهورٌ وبلا سبب مُقنع تؤذي الكنيسة...**"(٣). وفي خطاب أرسله إلى ملك إنجلترا هنري الأول سنة ١١٣٢م، يقول: "**من برنار رئيس دير كليرفو، الذي يخدم ويطيع ملك السماوات في مملكته الأرضية... لقد أرسلت إليك إخوانًا لي وكلّفتهم باسترداد ملكية تخص الكنيسة، فحريٌ بك أيها الملك أن تتعاون معهم عساك تنجز واجبك الإقطاعي** feudal **تجاه الرب**"(٤).

لقد كفل التأثير الاستثنائي لمعالجات برنار ليس حسم إشكالية وظيفة نائب المسيح *vicarious christi*، التي أوكلها إلى البابا بحكم أنّه نائب الرسول بطرس وحسب، بل وقطع في مسألة التدخل العلماني حين جعل من الملك تابعًا إقطاعيًا للأسقف. وحين خاطب البابا

الآباء الديريين في القرن الثاني عشر الميلادي. كان موجهًا لسياسة البابوية منذ عام ١١٣٠م. وكان له دورٌ حاسم في إخراج الحملة الصليبية الثانية عام ١١٤٧م. ويُعدُّ المؤسس لمنظمة الآباء السسترسيان.

Arnould de Bonneval, *Vie de St. Bernard de Clairvaux,1091-1153*, trad. F. Guizot, Clermont-ferrand, 2004; Aubé, Pierre, *St. Bernard de Clairvaux*, Fayard, 2003, intro.

(١) وفي الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشيا على البحر. فلما أبصره التلاميذ ماشيا على البحر اضطربوا قائلين انه خيال ومن الخوف صرخوا. فللوقت كلمهم يسوع قائلا تشجعوا أنا هو لا تخافوا. فأجاب بطرس وقال يا سيد أن كنت أنت هو فمرني أن أتي إليك على الماء. فقال تعال فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتي إلى يسوع. انظر: متى ١٤: ٢٥– ٢٩.

(٢) St. Bernard, *On Consideration*, trans. G. Lewis, Oxford, 1908, 2. 8. 16. Also: Robinson, Ian, *The Papacy 1073- 1198: Continuity and Innovation*, Cambridge & New York: Cambridge University Press, 1990, p. 299.

(٣) *Some Letters of St. Bernard Abbot of Clairvaux*, ed. F. Casquet, London, 1904, no. 12.

(٤) *Some Letters of St. Bernard Abbot of Clairvaux*, no. 29.

إيوجينيوس الثالث (١١٤٥– ١١٥٣م) ضيّق برنار الخناق على مُنظّري السمو الملكي إذ عهد بصلاحيات الملك إلى البابا، فقال: "**يجب أن تضع في اعتبارك أنّك نموذج البرّ، مرآة القداسة، نموذج التقوى، مُعلن الحق، المُدافع عن الإيمان، مُعلّم الأمم، قائد المسيحيين، صديق المسيح، رئيس الإكليروس، راعي الشعب، سيد البُسطاء، ملجأ المظلومين، محامي الفقراء، رجاء البائس، حامي الأيتام، قاضي الأرامل، عين الأعمى، لسان البُكم، داعم العجائز، المُعاقب على الجرائم، مُخيف الأشرار، عصا القوي، المطرقة التي تدق رؤوس الطغاة، أبو الملوك، مُقرر الشرائع، نور العالم، كاهن العُلى، نائب المسيح، مسيح الرب...**"(١).

ومضى برنار في هذا الطريق ليقوض نظرية السيفين بمفهومها القديم، أي سيف ملكي وآخر كنسي، ويعهد بهما معًا إلى الكنيسة، فيقول في كتابه الاعتبار On Consideration: "**إن السيف المادي يجب أن يُشهر من أجل الكنيسة، في حين أن السيف الروحي تُشهره فقط الكنيسة، وبذلك يكون سيفٌ بيد الكاهن والآخر بيد الجندي، بموافقة البابا ودعم الإمبراطور**"(٢). والحقيقة أن هذه الفرضية بتبعية السيف المادي للكنيسة جعلت مُعظم أفكار القرن الثاني عشر تُخضع السلطات العلمانية للكنيسة، وتقبل بأسبقية البابا على الملوك(٣).

ثم جاء حنا السالسبوري John of Salisbury أكثر تطرّفًا في أفكاره، فقطع في كتابه *Policraticus* بالتفوق الأصيل للسلطة الروحية، مؤكدًا أن سيفي السلطتين الروحية والملكية كلاهما يعودان إلى الكنيسة، التي تمنح بلا جدال للملك سلطانه. يقول: "**إن الكنيسة– مُحتفظة لنفسها في شخص البابا بالسلطة الروحانية– هي الوحيدة المخولة بمنح الأمير سيفه، وهو السيف الذي تمتلكه فضلًا عن سيفها الروحي، ولكن بما أنّه حريٌ بالكنيسة ألا تريق الدماء، فهي تستعمل الأمير لذلك. وعليه يُعدُّ هذا الأمير وزيرًا للسلطة الأسقفية، لكنه يُمارس من**

---

(١) St. Bernard, *On Consideration*, 4. 7. 23; Idem, *Epistolae*, ed. J. Leclerq & H. Rochais, Rome, 1977, vol. 2, no. 256. Also: Robinson, Ian, "The Papacy 1122-1198", *The New Cambridge Medieval History*, vol. 4, pt. 2, p. 318.

(٢) St. Bernard, *On Consideration*, 4. 3. 7; Idem, *Epistolae*, no. 256. 1.

(٣) Chodorow, Stanley, *Christian Political Theory and Church Politics in the Mid-Twelfth Century: The Ecclesiology of Gratian`s Decretum*, Berkeley, Los Angeles & London: University of California Press, 1972, pp. 58- 59;
كتب البابا إيوجينيوس الثالث – متأثرًا بأفكار برنارد– أن المسيح منح الرسول بطرس مفاتيح مملكة السماء، ووهبه سلطة الحكم في مملكتي الأرض والسماء". راجع: Robinson, *The Papacy 1073- 1198*, p. 299

وظائف الأساقفة ما لا يليق بهم. فالوظيفة الدينية هي شيء أسمى من المهام الوضيعة التي يُناطُ بها الأمير، مثل معاقبة المُجرمين، ولذلك أقل ما يوصف به أنّه جلّاد يُنفّذ العقوبات الدنيوية(١). ويُضيف: **"أنّ كاهن الله مهما ارتكب من أفعال لا يُمكن لأي شخص محاكمته سوى البابا، في حين أنّ الملوك والأمراء متى ارتكبوا الآثام، حريٌّ بهم أن يقبلوا بإصغاء وتواضع حكم الأسقف الذي هو السبيل الوحيد لتكفير خطاياهم، وليعلموا أنّ من يملك منحهم الكرامة الملكية بقادر على سلبهم إياها"**(٢). وعلى أيه حال لم يحترم حنا السالسبوري الملوك كثيرًا، وحرص على إخضاعهم ليس فقط لسلطان الكنيسة، بل وأيضا إلى قوانين من صُنع رعاياهم(٣).

في مقابل هذا المسار الثيوقراطي الواضح، برز آخرون يحفظون للسلطة الملكية منزلتها، بعضهم معتدل مثل جراتيان Gratian الذي سلك في قوانينه عامي ١١٤٠– ١١٤١م مسلكًا

---

(١) يستشهد "حنا" بنصوص مدينة الله، ١، ١: ٢١. وحنا كان مُفكرًا فيلسوفًا لاهوتيًا ذائع الصيت. وُلد بسالسبوري– إنجلترا بين سنتي ١١١٠– ١١١٥م، وارتحل إلى باريس وشارتر بفرنسا لدراسة اللاهوت والقانون. وكان بطرس أبيلار أحد معلميه في باريس. وعاد إلى إنجلترا عام ١١٥٤م ليلتحق بالعمل الكنسي، فاشتغل أمين سر لـ ثيوبالد رئيس أساقفة كانتربري. انغمس في الصراع الدائر بإنجلترا بين الملك هنري الثاني والمؤسسة الكنيسة. ونصّب نفسه مدافعًا شرسًا عن الكنيسة. له عدة مؤلفات، أهمها: الجامع في المنطق *Metalogican*، وله كتاب عن حياة أنسلم الكانتربري وتوماس بيكيت، وكتابًا عن التاريخ البابوي *Historia Pontificalis*، وله الجماليات الكبرى والصغرى *Entheticus maior et minor*. لكن "رجل الدولة" *Policraticus* يُعدُّ أهم مؤلفاته على الإطلاق، وقد فرغ منه عام ١١٥٩م، وهو أول كتاب يُقدّم نظرية سياسية كاملة في أوربا العصور الوسطى. وقد قسمه "حنا" إلى ثمانية كتب، ولخص فيه وجهة نظره عن السلطة الملكية، وصلاحيات الملك. ووضع حدودًا لسلطاته، وأوجب خضوعه للسلطة الدينية. كما أباح للرعية الخروج عليه وقتله إن لزم الأمر. راجع:

A Companion to John of Salisbury, ed. C. Grellard & F. Lachaud, Leiden–Boston: Brill, 2015, intro., pp. 1- 25; Filip, Oana-Corina, "John of Salisbury's Symbolical Biography", *Studia Ub. Philosophia* 61 (2016), pp. 15- 22; Surzyn, Jacek, Tyrant and his Power According to John of Salisbury, pp. 50- 59.

(٢) *The Statesman`s Book of John of Salisbury: Policraticus*, trans. J. Dickinson, New York, 1927, pp. 9- 10.

(٣) Voir: Sassier, Yves, "Le prince, ministre de la loi ? (Jean de Salisbury, Policraticus, IV, 1-2)", *Le prince, son people et le bien commun: De l'Antiquité tardive à la fin du Moyen Âge*, ed. J. Quaghebeur et al., pp. 125- 144.

راسل، برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: زكي نجيب محمود، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠، ٢/ ٢١١. وللمزيد: سجرى، عبير، فلسفة جون سالسبوري (دراسة نقدية)، *حوليات آداب عين شمس*، ٤٦ (يناير– مارس ٢٠١٨)، ص ٣٧٠ –٣٨٩. (*http://www.aafu.journals.ekb.eg*)

وسطًا بين مؤيدي السمو الملكي ومؤيدي السمو الكنسي[١]، فلم يُنازع الكنيسة حرّيتها، ولكنه في الوقت نفسه لم يغبن دور الملكية وسلطة الأمراء العلمانيين، وشرع يُحبّذ التعاون بين الجانبين لخدمة المُجتمع المسيحي، يقول: "**إن توافق الشرائع المقدسة مع قوانين الأمراء العلمانيين يمنع شهادة الزور**"[٢]. وجعل العلاقة النفعية بين الجانبين تقوم على محورين، الأول: إنّ تطبيق العدالة يتطلّب من الكنيسة أن تتشفّع بالأمراء لحمايتها من الأشرار بدلاً من أن تتصدّى لهم بنفسها، حيث لا يُوجد تعارض جوهري بين قوانين الكنيسة وتلك الخاصة بالأمراء العلمانيين[٣]. والمحور الثاني: التأكيد على سمو سلطة الكنيسة على سلطة الأمراء العلمانيين، الذين لا ينبغي أن يتدخلوا في الشؤون الكنسية دون سبب وجيه، ويحظر عليهم معارضة قوانين الكنيسة، أو التملك الكنسي، أو الحكم على الأساقفة، أو التدخل في الانتخابات البابوية[٤]. ويؤكّد في النهاية أن الولاء fidelity لله وقديسيه يسمو على يمين الطاعة الممنوح للأمراء"[٥].

وعلى طريق الاعتدال نفسه سار أيضًا سوجير رئيس دير سان دوني Suger of St. Denis الذي كان رجل دولة من طراز فريد، وعمل مُستشارًا لملك فرنسا لويس السابع (١١٣٧-

---

(١) يُعدُّ جراتيان البولوني مؤسس علم القانون الكنسي. كان راهبًا في دير القديسين فيلكس Felix ونابور Nabor في بولونا، وكان مُعلمًا في ذات المدينة، وهي حينئذ أشهر مركز في دراسة القانون بغرب أوربا. يُعتقد أنّ وفاته جاءت في ستينيات القرن الثاني عشر. وأمّا مؤلفه: القوانين أو المراسيم Decretum فيتألف من ثلاثة أجزاء: الفروق (التمايز Distinctiones)، والحالات (القضايا Causae)، والتكريس الذي يتناول الأسرار Sacrements الكنسية. على عكس المصنفات القانونية السابقة التي جُمّعت من مُختلف المصادر، وعُرِفت بالتناقضات في موادها حسب اختلاف المصادر، قام جراتيان بتسوية التناقضات القانونية. وخلق آلية للتقريب بين القوانين الإمبراطورية/ العلمانية والتشريعات الكنسية. وفي حالات كثيرة كان جراتيان يُدلي برأيه في القضايا، ويقترح تعديلات على نصوص القوانين. راجع:

The Treatise on Laws (Decretum Gratiani DD. 1-20), trans. A. Thompson, Washington: The Catholic University of America Press, 1993, intro. pp. x- xii; Winroth, Anders, *The Making of Gratian`s Decretum*, Cambridge: Cambridge University Press, 2004, intro., pp. 1- 8; Eichbauer, Melodie, Gratian's Decretum and the Changing Historiographical Landscape, pp. 1111- 1125.

(٢) Decretum magistri Gratiani, *Corpus iuris canonici*, tome 1, Leipzig, 1879, Distinctio 54. 11; Causa 14. 2.

(٣) Decretum magistri Gratiani, C. 14. 6. 2.

(٤) Decretum magistri Gratiani, D. 18. 7; C. 12. 2. 19, 22.

(٥) Ibid, C. 15. 6. 5. For more details: Constable, Giles, "The Concept of Princeps in Gratian's Decretum", in *Le prince, son people et le bien commun: De l' Antiquité tardive à la fin du Moyen Âge*, ed. J. Quaghebeur, H. Oudart et J.- M. Picard, Rennes: Presses universitaires de Rennes, 2013, pp. 115- 124.

١١٨٠م)[١]، وكال له المديح هو ووالده لويس السمين (١١٠٨– ١١٣٧م)[٢]. وقد اقتنع "سوجير" بآراء الإنسانيين، وخالف توجّه الجريجوريين حيال ثيوقراطية الحُكم. واقتنع أن الكنيسة بوصفها مكانًا للعبادة، ومثالًا للطهارة والقداسة يجب أن تتفرغ لاستقبال التائبين، وتُبادر إلى منحهم الغفران[٣]. والحقيقة أن أحكام سوجير المُعتدلة ونزعته الإنسانية جعلت منه أحد المُفكرين الكبار في القرن الثاني عشر الميلادي[٤].

خارج هذا المسار المُعتدل، تطرّف بعض مؤيدي نظرية السمو الملكي، واتّخذوا من تقديس شخص الملك مدخلًا لفرض نظرتهم، وهؤلاء نجد في أفكارهم تجسيدًا واضحًا لـ ثيولوجية "هيو" الفلوري، منهم: أوتو الفريزنجي Otto of Freising الذي أعلن في ثنايا وصفه لتتويج فردريك بربروسا ملكًا في ٩ مارس ١١٥٢م: "**أن الملك حيث مُسح بالزيت المقدّس بات مسيح المسيح نفسه**"[٥]. وأيضًا القانوني بطرس بلوا Peter of Blois الذي أعلن: "**أنّه في الوقت الذي يتفرّغ الأسقف إلى مهامه الدينية... يجب الإقرار أنه من القداسة مساعدة الملك، لأّنه قديس**

---

(١) Voir: Suger, Histoire de Louis VII, dans *Oeuvres de Suger*, tome 1, trans. F. Gasparri, Paris: Les Belles Lettres, 1996, prologue.

(٢) Voir: Suger, *Vie de Louis VI le Gros*, trad. H. Waquet, 2ieme ed. Paris: Les Belles Lettres, 1964, prologue. وُلد سوجير سنة ١٠٨١م في سان دوني أو في أرجنتي Argenteuil لأسرة متواضعة. درس في دير إستري Estrée حيث تعرّف على الأمير لويس، الذي سوف يكون ملكًا باسم لويس السادس، وتقرّب منه. واصل دراساته في دير القديس بندكت على نهر اللوار، بغرب فرنسا. وتعمّق في اللاهوت والقانون فضلًا عن الدراسات الإنسانية. ترأس في العشر سنين الأولى من القرن الثاني عشر عددًا من أديرة شمال فرنسا، ولمس عن قرب نقاط التلاقي مع الشؤون العلمانية. في سنة ١١٢٢م عُيّن رئيسًا لدير سان دوني بباريس، وظل في هذه الوظيفة حتى وفاته ١١٥٢م. كلّفه الملك لويس السابع بإدارة شؤون البلاد أثناء غيابه في الحملة الصليبية الثانية. عُرِف برؤيته الرامية إلى التوفيق بين الكنيسة والسلطة الملكية، وهذا لم يُعجب الأب برنار كليرفو، فاتهمه بأنّه يُعطي الملك أكثر مما يُعطي للكنيسة. له غير الكتابين عاليه مؤلف عن الإدارة. انظر: Ibid, intro, pp. v- xiv

(٣) Crosby, McKnight, *The Royal Abbey of Saint-Denis: From its Beginnings to the Death of Suger, 475- 1151*, Yale: Yale University Press, 1987, pp. 109- 110.

(٤) Crosby, *Royal Abbey of Saint-Denis*, pp. 111- 113 كانتور، التاريخ الوسيط، ٢/ ٤٤٤.

(٥) Otto of Freising & Rahwin, *The Deeds of Frederick Barbarossa*, trans. C. Mierow, New York: Columbia University Press, 2004, p. 117. وأوتو (١١١٤– ١١٥٨م) هو أخو الإمبراطور كونراد الثالث، وخال الإمبراطور فريدريك بربروسا، أي أنّه كاتب ملكي بلا جدال. تولى أسقفية فريزنج عام ١١٣٦م. كان مُدقّقًا واسع الاطلاع والمعرفة. ترك – فضلًا عن الكتاب عاليه– كتابه Chronicon أو تاريخ المدينتين History of the Two Cities: Ibid, intro., pp. 3- 11

ومسيح الرب، وليس عبثًا أن تلقى سر المسحة الملكية التي بان أثرها واضحًا- لمن يُنكره أو يشك فيه- بزوال الطاعون، وشفاء المرضى"(١).

كما تبنّى هيلمولد أسقف بوساو Helmold of Bosau النظرة الثيولوجية نفسها للمنزلة الملكية، فعلّق على خلاف طرأ عام ١١٧٠م حول تعيين رئيس أساقفة مدينة هامبورغ بقوله: **"إن التنصيب يعود إلى الإمبراطور، لأن كرامة منصبه وقربه من الله رفعته فوق البشر الآخرين"**. وعدّ هذا التدخل الملكي هو ما يُميز الإمبراطور أو الملك عن مُجرد دوق أو أمير تابع، ويُرسّخُ لمفهوم أن أسقفيات الممالك الوليدة إنما هي نتاج المملكة لا نتاج الكنيسة(٢). والحقيقة أن أمثال هيلمولد من منظري السمو الملكي فرضوا على الملوك صفات تُؤهلهم للتفوق على الكنيسة، أهمها الجدارة والفضيلة، وتجنب الانزلاق إلى الطغيان. ورأوا أن هذه الصفات إذا ما توفرت في الملوك قد تجعلهم قادرين على حماية مجتمعاتهم، ليس من الغزوات الخارجية وحسب بل ومن الأوبئة والكوارث الطبيعية(٣).

---

(١) Petri Blesensis, *Epistolae*, vol. 1, ed. A. Giles, Oxford, 1847, no. 123.

وبطرس رجل دولة وعالم لاهوت، ولد في بلوا حوالي عام ١١٣٠م. تلقى تعليمه الأولي بمدينة تور. ودرس القانون في بولونيا، ثم لحق بباريس حيث درس اللاهوت والفنون الحرة، والتقى حنا سالسبوري. عُيّن مستشارًا لملك صقلية النورماندي وليام الثاني بين عامي ١١٦٧- ١١٦٩م. ثم وكيلًا دبلوماسيًا لهنري الثاني، حيث كُلف بالتفاوض مع البابا وملك فرنسا. في عام ١١٧٦ أصبح مستشارًا لرئيس أساقفة كانتربري ورئيسًا لشمامسة باث Bath. أُرسل في بعثات دبلوماسية إلى روما عام ١١٧٧م وإلى فيرونا عام ١١٨٧م. دخل في خدمة الملكة إليانور الأكيتانية خلال المدة (١١٩٠-١١٩٥م). كان بطرس سياسيًا بالمقام الأول، ونصيرًا للملكية، وقد انتقد في الكثير من خطاباته رجال الدين الذين انشغلوا بالشؤون الدنيوية، وانسلخوا من التزاماتهم الأساسية: أي الوعظ وتعليم الناس الشريعة. توفي بإنجلترا بعد عام ١٢٠٣م. راجع: Ibid, intro., pp. vii- x; Higonnet, Ethel, "Spiritual Ideas in the Letters of Peter of Blois", pp. 218- 244.

(٢) *Helmoldi Presbyteri Chronica Slavorum*, ed. G. Pertz, (S. R. G), Hannover, 1868, 1:69, pp. 133- 134.

وهيلملود وُلد قرب عام ١١٢٠م في سكسونيا. تلقى تعليمه حتى سنة ١١٥٣م في برنزفيك Brunswick، ثم في الدير الأوغسطيني بـ نيومنستر Neumünster. ترسم أسقفًا في مدينة بوساو عام ١١٥٦م وبقي فيها إلى وفاته ١١٧٧م. أنهى عام ١١٧٢م حوليته عن السلاف التي غطّت تاريخ منطقة الحوض الأدنى من نهر الإلب بين سنتي ٨٠٠- ١١٧٠م. كان هيلمولد كاتبًا ناقدًا؛ فبقدر ما أشاد بالسلطة الملكية وأباح لها التدخل في شؤون الكنيسة، انتقد الأمراء العلمانيين المتاجرين بالدين. راجع: Ibid, intro, pp. 1- 3.

(٣) Weiler, Björn, "Crown-giving and King-making in the West (1000- 1250 A D)", *Viator* 41 (1) (Jun. 2010), pp. 57- 87, pp. 70- 71.

أكد فقيه القرن الثالث عشر الميلادي

خاتمة

مما تقدّم يُمكن القول أنّ نظرية هيو الفلوري عن السمو الملكي جاءت في مرحلة فاصلة بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، التي شهدت صراعًا متصلًا ومتشعبًا بين السلطتين الملكية والكنسية. وقد سعى هيو من خلال أفكاره إلى معالجة مواطن الخلاف بين الجانبين، على أنّه في الوقت نفسه راح يُؤكد على سمو السلطة الملكية.

ولا يخفى هنا أن أفكار هيو عن السمو الملكي قد اختلطت اختلاطًا شديدًا بالقضايا الشائكة التي كانت تُشعل العلاقة بين السلطتين الملكية والكنسية، مثل: مسألة التدخل العلماني في التعيينات الكنسية، ومثل مسألة السيفين، رمزي السلطتين الكنسية والزمنية، التي شغلت عقول المفكرين ورجال اللاهوت والقانويين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وقدّم لها هؤلاء جميعًا تفسيرات مختلفة ومتعارضة أحيانًا، كلٌ حسب فهمه وتأويله للنصوص السابقة، وعليه لا يُمكن فصل نظرية هيو الداعية للسمو الملكي عن هذه القضايا الشائكة.

ولا شك أن نظرية هيو قد تركت تأثيرها على الفكر السياسي لاحقًا، وذلك على خلاف ما ذهب إليه نورمان كانتور، بل أن محاورها الستة تناولها بالنقاش مُفكرو القرن الثاني عشر، وإن كان بعض هؤلاء لم يُشر إلى اسم "هيو" الفلوري– سخطًا منهم على ثوريته أو خشية من الكنيسة وهي في عنفوانها– غير أن الخطوط العريضة لنظريته تظهر بوضوح في كتاباتهم، سواء أكانوا مؤيدين لأفكاره أم معارضين. ويُمكن القول إن تأثير محاور "هيو" وأفكاره قد امتد أيضًا إلى بعض كتاب القرن الثالث عشر الميلادي الذين انشغلوا بمسألة التنافس بين السلطتين الكنسية والملكية، أمثال: متى الباريسي Matthew Paris (ت ١٢٥٩م)، وهنري براكتون Henry of Bracton (ت ١٢٦٨م)، وتوما ألاكويني Thomas Aquinas (ت ١٢٧٤م).

القانوني هنري براكتون Henry of Bracton أن الملك عندما يُتوج إنما يجلس على عرش الله الأرضي. وهذا ينسجم تمامًا مع رؤية مجهول نورمانديا وهيو الفلوري التي اتّخذها كانتوروفيتش محورًا لنظريته عن ازدواجية السلطتين الزمنية والروحية في شخص الملك: *The King's Two Bodies*, pp. 159- 160

قائمة المراجع

أولًا: المصادر الأجنبية:

- *Alcuin of York: His Life and Letters*, ed. S. Allott, York, 1974.
- *Annales Ecclesiastici*, t. 17, Roma, 1859.
- Anselmi lucensis, *Liber contra Wibertum*, ed. E. Bernhem, "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 1, 1891.
- ----- *Collectio Canonum*, ed. F. Thaner, Innsbruck, 1915.
- Arnould de Bonneval, *Vie de St. Bernard de Clairvaux,1091-1153*, trad. F. Guizot, Nouv. ed, Clermont-ferrand, 2004.
- Benzonis episcopi Albensis, *Ad Heinricum IV imperatorem libri VII, MGH SS*, ed. Pertz, vol. 11, Hannover, 1854.
- Benzo of Alba, To Emperor Henry IV, in *The Papal Reform of the Eleventh Century: Lives of Pope Leo IX and Pope Gregory VII*, trans. I. Robinson, Manchester & New York: Manchester University Press, 2004.
- Bernaldi, *Libelli*, in "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 2, Hannover, 1892.
- Bernard of Clairvaux, *On Consideration*, trans. G. Lewis, Oxford, 1908.
- ----- On Loving God "*http:/www.ccel.org/ccel/Bernard/Loving_God.html*".
- ----- *Some Letters of St. Bernard Abbot of Clairvaux*, ed. F. Casquet, London, 1904.
- ----- *Epistolae*, ed. J. Leclerq & H. Rochais, 2 vols, Rome, 1977.
- *The Correspondence of Pope Gregory VII: Selected letters from the Registrum*, trans. E. Emerton, New York: Octagon Books, 1979.
- Cyprian, The Treaties: On the Unity of the Church, in *The Writings of the Fathers Down to AD 325: Ante- Nicene Fathers*, vol. 5, ed. A. Roberts & J. Donaldson, Edinburgh, W. D.
- Deusdedit, Dedicatory Letter to Pope Victor III and the Clergy of the Roman Church, in: *Prefaces to Canon Law Books in Latin Christianity: Selected Translations 500- 1245 AD*, comment. & trans. R. Somerville & B. Brasinton, New Haven- London: Yale University Press, 1998.
- ----- *Libellus contra invasores et simoniacos et reliquos schismaticos*, ed. E. Sackur, "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 2, Hannover, 1892.
- *Documents of The Christian Church*, Select. & ed. H. Bettenson, 2nd ed., London, Oxford, & New York: Oxford University Press, 1963.
- Gelasius, *Epistolae et Decreta*, P L, ed. Migne, vol. 59.
- Geoffrey Malaterra, *The Deeds of Count Roger of Calabria, and Sicily and of his Brother Duke Robert Guiscard*, trans. K. Wolf, University of Michigan Press, 2005.
- Gratiani, Decretum, *Corpus iuris canonici*, tome 1, Leipzig, 1879.

- Gregory the Great, *The Books of Morals, Or: An Exposition on the Book of Blessed Job*, trans. J. Parker, London, 1894.
- *Helmoldi Presbyteri Chronica Slavorum*, ed. G. Pertz, (S. R. G), Hannover, 1868.
- Honorii Augustodunensis, *Summa gloria*, ed. L. Dieterich, *MGH SS*, vol. 3 "Libelli de lite imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", 1897.
- Hugonis abbas Flaviniacensis, *Chronica*, P L, ed. Migne, vol. 154 (1).
- Hugonis Floriacensis, *Aimoinus floriacensis de regno Francorum. Experta ex miraculis S. Bendicti, MGH SS*, vol. 9, ed. Pertz.
- ----- *Historia Ecclesiastica*, ed. G. Waitz, P L, ed. Migne, vol. 163.
- ----- *Historia Ecclesiastica, MGH SS*, vol. 9, ed. Pertz.
- ----- A letter from Hugh of Fleury (1109/1110) to Adela of England, Countess of Blois, in *https://epistolae.ctl.columbia.edu/letter/98*.
- ----- *Historia Francorum Senonensis*, P L, ed. Migne, vol. 163.
- ----- Chronique de l' an 949 à l' an 1108, dans *Collection de mémoires relatifs à l`histoire de France*, vol. 7, ed. F. Guizot, Paris, 1826.
- ----- *Liber qui modernorum regum Francorum continent actus*, P L, vol. 163.
- ----- *Fragmenta Historiae Fossatensis*, P L, ed. Migne, vol. 163.
- ----- *Tractatus de Regia Potestate, et Sacerdotali dignitate*, ed. E. Sackur, "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS.* vol. 2, Hannover, 1892.
- ----- *Vita sancti Sacerdotis Levomicensis*, P L, ed. Migne, vol. 163.
- Hugh of St. Victor, *On the Sacraments of the Christian Faith*, trans. R. Deferrari, Cambridge & Massachusetts, 1951.
- Isidorus Hispalensis, *Sententiae libri*, (*www.thelatinlibrary.com/isidore*).
- ----- *Etymologiarum sive originum libri XX*, ed. W. Lindsay, Oxford, 1911.
- John of Salisbury, *Policraticus*: *The Statesman`s Book,* trans. J. Dickinson, New York, 1927.
- Ivonis episcopi carnotensis, *Epistolae ad litem investiturarum spectantes*, ed. E. Sackur, "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 2, Hannover, 1892.
- Karoli Magni capitularia: Admonitio generalis (23 Mars 879 A D), dans: *Capitularia regum francorum*, tome 1, *MGH*, Hannover, 1883.
- *The letters of Saint Anselm of Canterbury*, trans. W. Fröhlich, 3 vols. Kalamazoo & Michigan, 1990- 1994.
- *Liber de unitate ecclesiae conservanda*, ed. Waltrami, Scriptores Rerum Germanicarum, *MGH R*, vol. 38.
- Lupus Protospatarius, *Chronicon*, P L, ed. Migne, vol. 155.
- Manegold, *liber ad gebehardum*, "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 1, Hannover, 1891.
- ----- *Liber Contra Welfelmum*, trans. R. Ziomkouski, Paris, Leuven & Dudley: Peeters, 2002.

- *Monumenta Gregoriana: Gregorii VII registrum*, ed. Ph. Jaffé, Berlin, 1865.
- The Norman Anonymous: Selected Passages, in *English Historical Documents 1042- 1189*, ed. D. Douglas & G. Greenaway, 2nd ed., London & New York: Routledge, 1981.
- Ordric Vital, *Histoire de Normandie*, 4 vols, trad. M. Guizot, Paris, 1825.
- Otto of Freising & Rahwin, *The Deeds of Frederick Barbarossa*, trans. C. Mierow, New York: Columbia University Press, 2004.
- Paul of Bernried, Life of Pope Gregory VII, in *The Papal Reform of the Eleventh Century: Lives of Pope Leo IX and Pope Gregory VII*, trans. I. Robinson, Manchester & New York: Manchester University Press, 2004.
- Petri Blesensis, *Epistolae*, vol. 1, ed. A. Giles, Oxford, 1847.
- Pseudo-Ambrosius (Augustini), Quaestiones veteris et novi testament CXXVII, ed. A. Souter, in *Corpus Scriptorum Ecclesiasticorum Latinorum*, vol. 50, London & New York, 1908.
- Sigeberti monachi Gemblacensis, *Leodicensium epistola adversus Paschalem papam*, ed. E. Sackur, *MGH SS*, vol. 3 "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", Hannover, 1892.
- Suger, *Vie de Louis VI le Gros*, trad. H. Waquet, 2ieme ed. Paris, 1964.
- ----- Histoire de Louis VII, dans *Oeuvres de Suger*, tome 1, trans. F. Gasparri, Paris: Les Belles Lettres, 1996.
- *Tractatus Eboracenses (I- VI)*, ed. H. Boehmer, "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 3, Hannover, 1897.
- *The Treatise on Laws (Decretum Gratiani DD. 1-20),* trans. A. Thompson, Washington: The Catholic University of America Press, 1993.
- *Vita Anselmi episcopi Lucensis*, ed., R. Wilmans, *MGH SS* vol. 12.
- Wenrici Trevirensis *epistola*, "Libelli de lite Imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", *MGH SS*, vol. 1, Hannover, 1891.
- Wido Episcopus Ferrariensis, *De Scismate Hildebrandi*, ed. R. Wilmans, *MGH SS*, "Libelli de lite imperatorum et Pontificum: saeculii XI et XII", Hannover, 1891. (En. trans. On Hildebrand's Schism, For and Against Him by Bishop Guido of Ferrara, Book 2 http:// legalhistorysources.com/ Canon%20Law/ GregorianReform/ PeterCrassus.)
- Widonis Osnabrugensis, *Libro de controversia inter Hildebrandum et Heinricum imperatorum*, in Ibid.
- Wipo, Deeds of Conrad II, *in Imperial Lives and Letters of the Eleventh Century*, trans. T. Mommsen & K. Morrison, New York: Columbia University Press, 2000.

ثانياً: المصادر المُعربة:

- أوغسطين، الحياة المسيحية، تعريب: القمص إشعياء ميخائيل، مطرانية البحيرة، ١٩٨٧.
- ----- مدينة الله، ترجمة: يوحنا الحلو، ط٢، بيروت، دار المشرق، ٢٠٠٦- ٢٠٠٧.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- Antenhofer, Christina, "The Concept of the Body of the King in Kantorowicz`s the King`s two Bodies", in *The Body of the King: The Staging of the Body of the Institutional Leader from Antiquity to Middle Ages in East and West,* ed. G. B. Lanfranchi & R. Rollinger, Padova, 2016.
- ébuA Pierre, *St. Bernard de Clairvaux*, Fayard, 2003.
- Bauduin, Pierre, "Hugues de Fleury et l`histoire normande", in *Normandy and its Neighbours, 900-1250. Essays for David Bates*, ed. D. Crouch et K. Thompson, Turnhout: Brepols, 2011.
- Baumgartner, Fredric, *Behind Locked Doors: A History of Papal Elections*, New York: Palgrave Macmillan, 2003.
- Bautier, Robert-Henri, "La Place de l'abbaye de Fleury-sur-Loire dans l'historiographie française du IX au XII siècle" dans *Études ligériennes d'histoire et d'archéologie médiévales: mémoires et exposés présentés à la Semaine d'études médiévales de Saint-Benoît-sur-Loire du 3 au 10 juillet 1969*, ed. par R. Louis, Auxerre: Publications de la Société des fouilles archéologiques et des monuments historiques de l'Yonne, 1975, pp. 25- 33.
- ----- "L'École historique de l'abbaye de Fleury d'Aimoin à Hugues de Fleury", dans *Histoires de France, historiens de la France*, ed. Y. Bercé et P. Contamine, Paris: Champion, 1994, pp. 59–72.
- Bevont, Maurice, *The Tradition of Manuscripts: A Study in the Transmission of St. Cyprian`s Treaties*, Oxford: Clarendon Press, 1961.
- Canning, Joseph, *A History of Medieval Political Thought 300- 1450*, London & New York: Routledge, 2003.
- Cantor, Norman, *Church, Kingship and Lay Investiture in England 1089- 1135*, Princeton & New Jersey: Princeton University Press, 1958.
- Chazan, Mireille, Sigebert de Gembloux est-il français? *Mémoires De L'académie Nationale De Metz* 11- 12, (2012), pp. 85- 99.
- Chenesseau, Georges, *L`abbaye de Fleury à St. Benoit sur Loire: son histoire, ses institutions, et ses édifices*, Paris, 1931.
- Chenu, Marie-Dominique, *Nature, Man, and Society in the Twelfth Century: Essays of New Theological Perspectives in the Latin West*, Chicago & London: The University of Chicago Press, 1968.
- Chibnall, Marjorie, *The Empress Matilda: Queen Consort, Queen Mother and Lady of the English*, Oxford: Blackwell, 1991.
- Chodorow, Stanley, *Christian Political Theory and Church Politics in the Mid-Twelfth Century: The Ecclesiology of Gratian`s Decretum*, Berkeley, Los Angeles & London: University of California Press, 1972.
- Colish, Marcia, *Medieval Foundations of the Western Intellectual Tradition, 400- 1400*, New Haven & London: Yale University Press, 1997.
- Constable, Giles, *The Reformation of the Twelfth Century*, 2nd ed. Cambridge & New York: Cambridge University Press, 1998.

- ----- "The Concept of Princeps in Gratian's Decretum", in *Le prince, son people et le bien commun: De l' Antiquité tardive à la fin du Moyen Âge*, ed. J. Quaghebeur, H. Oudart et J.- M. Picard, Rennes: Presses universitaires de Rennes, 2013, pp. 115- 124.
- Couderc, Camille, "Note sur une compilation inédite de Hugues de Sainte-Marie et sa Vie de saint Sacerdos, évêque de Limoges", *Bibliothèque de l'École des chartes* 54 (1893), pp. 468- 474.
- Cowdery, Herbert, *The Cluniacs and the Gregorian Reform*, Oxford: The Clarendon Press, 1970.
- Crosby, McKnight, *The Royal Abbey of Saint-Denis: From its Beginnings to the Death of Suger, 475- 1151*, Yale: Yale University Press, 1987.
- Cushing, Kathleen, "Anselm of Lucca and the Doctrine of Coercion: The Legal Impact of the Schism of 1080?" *The Catholic Historical Review* 81: 3 (Jul., 1995), pp. 353- 371.
- ----- *Papacy and Law in the Gregorian Revolution: The Canonistic Work of Anselm of Lucca*, Oxford: Clarendon Press, 1998.
- Eadmer de Cantorbéry, *Histoire d'Angleterre et vie de St. Anselme*, trad. H. Rochais, Paris, 1994.
- Eichbauer, Melodie, Gratian's Decretum and the Changing Historiographical Landscape, *History Compass* 11: 12 (2013), pp. 1111- 1125.
- Emerick, Judson, "Charlemagne: A New Constantine", in *The Life and Legacy of Constantine: Traditions through the Ages*, ed. M. Bjornlie, London & New York: Routledge, 2017, pp. 133- 161.
- Filip, Oana-Corina, John of Salisbury's Symbolical Biography, *Studia Ub. Philosophia* 61 (2016), pp. 15- 22.
- Fliche, Augustin, *La réforme grégorienne*, 3 vols., Genève, 1979.
- Floz, Robert, *The Coronation of Charlemagne 25 December 800 AD*, trans. J. Anderson, London: Routledge & Kegan Paul, 1974.
- Gabriele, Matthew, *An Empire of Memory: The Legend of Charlemagne, the Franks, and Jerusalem before the First Crusade*, Oxford, 2011.
- Green, Judith, *Henry I: King of England and Duke of Normandy*, Cambridge & New York: Cambridge University Press, 2006.
- Grellard, Christophe & Lachaud, Frédérique (ed.), *A Companion to John of Salisbury*, Leiden–Boston: Brill, 2015.
- Healy, Patrick, *The Chronicle of Hugh of Flavigny: Reform and the Investiture Contest in the Late Eleventh Century*, London: Ashgate, 2006.
- Higonnet, Ethel, "Spiritual Ideas in the Letters of Peter of Blois", *Speculum* 50: 2 (Apr., 1975), pp. 218- 244.
- Iogna-Prat, Dominique, "Cluny, le monachisme et la société au premier âge féodal (880- 1050)", *Bulletin du centre d'études médiévales d'Auxerre* 15 (2011), pp. 139- 168.

- Kantorowicz, Ernest, *The King's Two Bodies: A Study in Medieval Political Theology*, Princeton: Princeton University Press, 1957.
- Le Goff, Jacques, Les trois fonctions indo-européennes, l'histoire et l'Europe féodale, *Annales, Economies, Societes, Civilisations* 34 (1979), 1187- 1215.
- Lettinck, Nico, "Pour une édition critique de l'Historia Ecclesiastica de Hugues de Fleury", *Revue Bénédictine* 91: 3-4 (1981), pp. 386- 397.
- Leyser, Karl, *Communication and Power in Medieval Europe*, London & Rio Grande: The Hambledon Press, 1994.
- Marek, Rafał, Caesaropapism and the Reality of the 4th–5th Century Roman Empire, *Krakowskie Studia z Historii Państwa i Prawa* (2017), pp. 1- 27.
- Melve, Leidulf, *Inventing the Public Sphere: The Public Debate During the Investiture Contest (c.1030- 1122)*, Leiden: Brill, 2007.
- Mazel, Florian, Moines et grands laïcs provençaux au temps de la crise grégorienne (milieu XIe – milieu XIIe siècle), Pouvoirs, Église et société dans les royaumes de France, de Bourgogne et de Germanie aux X e et XIe siècles (888-vers 1110), ed. M. Lauwers & L. Ripart, Paris, 2008, pp. 97- 126.
- Pacaut, Marcel, *Doctrines politiques et structures ecclesiastiques dans l`Occident médiévale*, London: Variorum Reprints, 1985.
- Peyret, Jean, *Bernold de Constance: La réforme de St. Grégoire VII au point de vue théologie*, PHD diss., Université de Lyon, 1904.
- Pysiak, Jerzy, *The King and the Crown of Thorns Kingship and the Cult of Relics in Capetian France*, tr. S. Twardo, Berlin: Peter Lang, 2021.
- Robinson, Ian, *Authority and Resistance in the Investiture Contest: The Polemical Literature of the Late Eleventh Century*, Manchester & New York: Manchester University Press, 1979.
- ----- *The Papacy 1073- 1198: Continuity and Innovation*, Cambridge & New York: Cambridge University Press, 1990.
- ----- *Henry IV of Germany 1056–1106*, Cambridge & New York: Cambridge University Press, 1999.
- Rolker, Christof, *Canon Law and the Letters of Ivo of Chartres*, Cambridge: Cambridge University Press, 2010.
- Rorem, Paul, *Hugh of Saint Victor*, Oxford: Oxford University Press, 2009.
- Sanford, Eva, Honorius, Presbyter and Scholasticus, *Speculum* 23: 3 (Jul., 1948), pp. 397- 425.
- Sassier, Yves, "Hugues de Saint-Victor et la puissance terrestre, d'après le de sacramentis christianae fidei", *Revue Française d' Histoire des Idées Politiques* 1: 23 (2006), pp. 21- 34.
- ----- "Les premiers chapitres du "De regia potestate et sacerdotali dignitate d` Hugues de Fleury (1102- 1107), ou l` art de s`approprier un vieux discours théologico-politique", *International Conference Proceedings*, series no. 12, (Japan: Nagoya University, 2012), pp. 123- 135.

- ----- "Le prince, ministre de la loi? (Jean de Salisbury, Policraticus, IV, 1- 2)", *Le prince, son people et le bien commun: De l'Antiquité tardive à la fin du Moyen Âge*, ed. J. Quaghebeur et al., Rennes: Presses universitaires de Rennes, 2013, pp. 125- 144.
- Surzyn, Jacek, Tyrant and His Power According to John of Salisbury, *Horyzonty Polityki* 10: 33 (2019), pp. 50- 59.
- Tellenbach, Gerd, *The Church in Western Europe from the Tenth to the Early Twelfth Century*, trans. T. Reuter, Cambridge University Press, 1993.
- Tessier, Georges, *Charlemagne*, Paris, 1967.
- Thomas, David & Mallett, Alexander, *Christian-Muslim Relations. A Bibliographical History*. Vol. 3 (1050- 1200), Brill, 2011.
- Tivey, Michael, *Defining Ideology in the Pontificate of Gregory VII*, MA diss., University of Birmingham, 2011.
- Ullmann, Walter, *The Growth of Papal Government in the Middle Ages*, London: Methuen, 1965.
- ----- *Medieval Foundations of Renaissance Humanism*, Ithaca, New York: Cornell University Press, 1977.
- Van Nieuwenhove, Rik, *An Introduction to Medieval Theology*, Cambridge: Cambridge University Press, 2012.
- Vidier, Alexandre, *L'historiographie à Saint-Benoît-sur-Loire et les miracles de saint Benoît*, Paris: Picard, 1965.
- Weiler, Björn, "Crown-giving and King-making in the West (1000- 1250 A D)", *Viator* 41 (1) (Jun. 2010), pp. 57- 87.
- Wickstrom, John, *Fiction, Memory, and Identity in the Cult of St. Maurus, 830–1270*, Kalamazoo: Palgrave, 2022.
- Williams, George, *The Norman Anonymous of 1100 A. D: Toward the Identification and Evaluation of the So-called Anonymous of York*, Cambridge & Massachusetts: Harvard University Press, 1951.
- Winroth, Anders, *The Making of Gratian`s Decretum*, Cambridge: Cambridge University Press, 2004.
- Zukowski, Jean, *The Role and Status of the Catholic Church in the Church-State Relationship Within the Roman Empire from A.D. 306 to 814*, PHD diss., Andrews University, 2009.

رابعاً: المراجع العربية والمُعرّبة:

- توشار، جان، تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، ترجمة: ناجي الدراوشة، دمشق: دار التكوين والترجمة والنشر، ٢٠١٠.
- سباين، جورج، تطور الفكر السياسي (الكتاب الثاني)، ترجمة: حسن جلال العروسي، القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، ٢٠١٠.
- سجرى، عبير، فلسفة جون سالسبوري (دراسة نقدية)، *حوليات آداب عين شمس*، ٤٦ (يناير- مارس ٢٠١٨)، ص ٣٧٠ -٣٩٦. (*http://www.aafu.journals.ekb.eg*)

- صبره، عفاف، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، القاهرة، ١٩٨٢.
- عبد الحميد، رأفت، الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠١.
- عبيد، إسحاق، روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قنسطنطين ٨٦٩-١٢٠٤م، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠.
- الغمراوي، علي، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربي الوسيط، القاهرة، د. ت.
- قاسم، قاسم عبده، الحملة الصليبية الأولى: نصوص ووثائق تاريخية، القاهرة، دار عين، ٢٠٠١.
- كانتور، نورمان، التاريخ الوسيط: قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، القاهرة: دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٧.
- لوكلير، جوزيف، تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، ترجمة: جورج سليمان، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٩.
- هُلستر، شارلز، أوربا في العصور الوسطى، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، القاهرة، ١٩٨٨.